ارسين لوبين

الشريف



مغامرات "أرسين لوبين"

● **نو الشخصية الفذة في اقتحام عالم الجريمة وكشف مرتكبيها وتقديمهم للعدالة، وصاحب المغامرات المثيرة المعروف لملايين القراء في جميع أنحاء العالم، والذي ذاعت شهرته حتى تفوقت على كل الشخصيات البوليسية التي تصور الجريمة وتحللها وتكشف عن مرتكبيها.**

هذا البطل (أرسين لوبين) يتميز بالنبل والشرف والشهامة فهو لا يهدف من مغامراته إلى الثراء وكسب المال أو للثأر والانتقام من خصومه، وإنما يكرس حياته للكشف عن الجريمة وتعقب الجناة وتقديمهم للعدالة.

إنه اللص الشريف الذي يمتلئ قلبه بالحب والخير للناس.

وخاصة البائسين والفقراء حيث كان يخصهم بعطفه وإحسانه ويتبرع بكل ما يحصل عليه من الأثرياء البخلاء واللصوص الجشعين للجمعيات الخيرية ومؤسسات البر والإحسان.

وقد تحدى هذا البطل (أرسين لوبين) رجال الشرطة وكبار المفتشين الخصوصيين في عصره في أوروبا وأمريكا حتى أطلق عليه لقب الرجل ذي الألف وجه وهيئة حيث كان يجيد التنكر ويظهر في شخصيات متعددة.

ثمن النسخة

لبنان	٢٠٠٠ ل	الكويت	٧٥٠ف	مصر	٣ ج	CanadA	5$
سوريا	٧٥ ل	الامارات	١٠ د	المغرب	١٠ د	U.K	1.5
الأردن	١ د	البحرين	١ د	ليبيا	١ د	France	15F.F
العراق	٥٠	قطر	١٠ ر	تونس	١،٥ د	Greece	1200Drs.
السعودية	٦ ر	مسقط	١ د	اليمن	٧٥ ر	CYPRUS	1.5 P.

برنارد الأسطه

يقدم

الرواية المعرّبة

الشريف

(٤٢)

رواية بوليسية طريفة بطلها اللص الظريف "أرسين لوبين"

الناشر

دارميوزيك

للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع ش ·م·م·

ص.ب ٣٧٤ جونيه – لبنان

تلفون : 00 961 9 902 131

فاكس : 00 961 9 902 939



-١-
جريمة البرج

فتحت "هورتنس دانيل" نافذتها . ونادت بصوت خافت : "روسيني"..
اين انت ؟؟

فاجابها صوت رقيق منبعث من بين الأشجار الضخمة المتعانقة المحيطة بالقصر : هانذا فانحنت "هورتنس" إلى الأمام وأرسلت بصرها بين الأشجار. فرأت رجلا قصير القامة بدينها .. قد استند إلى جذع شجرة ورفع إليها وجها سمينا تحيط به لحية شقراء .

سالها الرجل : ماوراءك ؟!

فاجابت : لقد قام جدل عنيف بيني وبين عمي وزوجته ليلة امس وأصر الاثنان على عدم توقيع الصك الذي وضعه مسجل العقود . والذي يتضمن نزولهما لي عن البائنة "الدوطة" التي تركها لي والدي عند وفاته .

– وهل نسي عمك فضلا عن ذلك انه الذي اختار لك ذلك الزوج الذي بليت به وانه المسؤول عن ... فقاطعته "هورتنس" : مهما يكن من امر فإنه يصر على الرفض .

– وإذن ؟؟

فسالته ضاحكة :

– اما زلت مصمما على اختطافي والهرب بي ؟؟

– إن تصميمي أوطد مما كان قبلا .. وانت تعلمين انني مجنون بك .

– ولكني للأسف الشديد لست مجنونة بك .

– انا لا اطالبك بان تحبيني شغفا بي .. كل ما ارجوه هو ان تحبيني قليلا .

– احبك قليلا ؟! إنك تطلب الكثير .

– اطلب الكثير ؟! إذن لماذا وقع اختيارك علي دون سواي ؟!

– ذلك ما قضت به المصادفات البحتة . فإنك جئت في وقت اشعر

فيه باشد انواع الملالة والسام .. ولما كنت ذات شغف بالمغامرات والمفاجات فقد فكرت في ان اجازف بالفرار معك ..

طمعا في ان أتذوق طعما جديدا للحياة .. خذ . إليك حقائبي .

والقت إلى "روسيني" بحقيبتين من الجلد فتلقفهما بيديه .

غمغمت قائلة : هانذا اترك مصيري بين يديك .. والآن عليك أن تنتظرني بسيارتك عند رصيف "إيف" وسالحق بك بجوادي !

– بالله .. ولكني لا استطيع اختطاف جوادك .

– كن مطمئنا .. فالجواد يعرف كيف يعود وحده إلى القصر .

– هذا حسن .. وبهذه المناسبة ..

– ماذا !؟

– من هذا البرنس "رينين" .. الذي يقيم في القصر منذ ثلاثة أيام ، و لايعرف أحد حقيقة أمره ؟

– لاأعلم .. فقد قابله عمي في حقلة صيد عند بعض اصحابه . فدعاه إلى زيارتنا ، وقضاء بقية فصل الصيد في أملاكه .

– يخيل إلي انه وقع في نفسك موقعا حسنا .. وأنك تجدين لذة في التحدث إليه ومعاشرته فإنك خرجت معه امس في نزهة طويلة.. ولكني اصارحك القول بأن هذا الرجل لايعجبني .. ولاتطمئن إليه نفسي .

– بعد ساعتين نكون قد ابتعدنا عن هذه المنطقة .. ومتى افتضح الأمر .. وعلم البرنس "سيرج رينين" انني هربت معك .. فلا شك أن عاطفته نحوي سيدركها الفتور . إننا أطلنا الحديث ياصاحبي . والوقت ضيق .. لايسمح لنا بالتبذير فيه .

وظلت في نافذتها ترقب "روسيني" وهو يبتعد بين الأشجار والحقيبتان توشكان ان تسحقا ظهره ومازالت تشيعه حتى غاب عن بصرها بين الأشجار . وعندئذ أغلقت نافذتها .

* * *

وفي تلك اللحظة دوى في الفضاء صوت نفير أعقبه في الحال نباح

عدد كبير من الكلاب .

ذلك لانه كان من المقرر في ذلك الصباح افتتاح موسم الصيد والقنص في الغابات المحيطة بقصر "لاماريز" الذي يملكه الكونت "ديلروش" .. وكان الكونت وزوجته الكونتس قد دعوا بهذه المناسبة طائفة من الأصدقاء لقضاء موسم الصيد عندهما كما جرت عادة النبلاء .

سمعت "هورتنس" صوت النفير ونباح الكلاب فاشفقت ان تفاجا قبل أن تفر .. وأسرعت إلى المرآة فرتبت شعرها وإلى ملابس الركوب فارتدتها ثم جلست أمام مكتبها . وشرعت في كتابة رسالة وداع إلى عمها الكونت "ديلروش" .

ولكن كان عزيزا عليها أن تكتب هذه الرسالة . ولم يسعفها ذهنها بما يجب أن تقوله . واخيرا عدلت عن فكرة الكتابة وقالت تحدث نفسها : ساكتب إليه فيما بعد حين ينفثئ غضبه .. ويصفح عن فعلتي التي سوف تصيب كبرياءه في الصميم .

وذهبت تتهادى بقامتها الرشيقة حتى بلغت قاعة الطعام الفسيحة وهناك وجدت أن عمها وضيوفه قد بكروا في النهوض استعدادا للصيد قبل بزوغ الفجر .. واحاطوا جميعا بالمائدة لتناول طعام الفطور .

ورأت "هورتنس" عمها .. وهو رجل كبير الجسم كامثاله من اصحاب الأملاك في الاقاليم ..

وبيده كاس مليئة بالشراب .

هتفت بعد أن قبلت جبهته :

– ماذا تفعل يا عمي ؟! أتقبل على الشراب قبل مطلع الشمس؟ فهز الكونت كتفيه وقال :

– ألا يخرج الإنسان عن المألوف مرة واحدة في العام ..

– ولكن الكونتس سوف تناقشك الحساب .

– إن الكونتس مصابة بصداع .. ولن تبرح غرفتها هذا الصباح..

ثم استطرد بعد لحظة بلهجة جافة :
- وبعد .. فهذا ليس من شأن الكونتس ولاهو من شانك كذلك يا صغيرتي ..

* * *

وفي هذه اللحظة .. اقترب البرنس "رينين" من "هورتنس" .
كان البرنس شابا في مقتبل العمر .. على جانب كبير من الرشاقة والأناقة . ممتقع الوجه قليلا .. ولكن هذا الامتقاع كان يكسب تقاطيعه شيئا من النبل . اما نظراته فكانت تنم عن مزيج من الدعة والقسوة .. وكان يتالق في عينيه بين الفينة والفينة وميض الدهاء والتهكم .

* * *

حنى البرنس قامته أمام "هورتنس" وقبل يدها في احترام . وقال لها :
- هل تسمحين لي بان أذكرك بوعدك يا سيدتي العزيزة ؟؟
- وعدي ؟ !!
- نعم .. فقد تم الاتفاق بيننا على أن نقوم اليوم برحلة كالتي قمنا بها أمس .. وأن نزور ذلك القصر العتيق المغلق الذي أثار أمره فضولنا والذي يسميه القوم قصر "هالينجر" .
فاجابت في شيء من الخشونة : إنني شديدة الأسف يا سيدي . لأن هذه الرحلة التي تقترحها طويلة وأنا متعبة قليلا .. ولذلك سأكتفي بنزهة قصيرة حول القصر ثم أعود ..
وساد الصمت بينهما لحظة .. ثم ابتسم البرنس "سيرج رينين" وقال بصوت لايسمعه سواها :
- أنا واثق أنك ستبرين بوعدك . وإنني ساكون زميلك في هذه الرحلة .. وذلك أفضل .
فصعدت إلى وجهها حمرة طفيفة وأجابت : لست أفهمك ياسيدي ..
- المسألة واضحة لاغموض فيها ولا لبس فالطريق إلى قصر "هالينجر" بديع ... والقصر يثير فضولك .. ولاتوجد نزهة أخرى تجمع

بين هاتين الصفتين .

- انت لاتنقصك البراعة في الإغراء ياسيدي ..

- ولا الإصرار يا سيدتي .. سانتظرك عند قصر "هالينجر" .

فظهرت على وجهها علامات الضجر والملالة . ولكنها لم تجب . بل حولت إليه ظهرها وخرجت .

* * *

وكانت قد اصدرت امرها بإعداد جوادها . فوجدت أحد الخدم في الخارج ممسكا بالجواد .. فامتطته وسارت به نحو الغابة التي تترامى وراء الحديقة ..

كان الجو صحوا جميلا .. والسماء صافية فارتاحت "هورتنس" إلى هذه النزهة في تلك الساعة المبكرة ومازالت تجد بجوادها حتى وصلت إلى "إيف" بعد نصف ساعة تقريبا . وهناك جذبت عنان جوادها وارهفت السمع ولكنها لم تسمغ اية حركة أو صوت..

تساءلت : ترى اين ذهب "روسيني" وخطر لها انه ربما اخفى سيارته بين الأشجار واوقف محركها حتى لايفطن إليه احد ..

اجالت الطرف حولها .. ورات مكان السيارة .. فترجلت عن ظهر جوادها ... وبعد تردد قصير .. شدت عنان الجواد إلى إحدى الأشجار في غير عناية بحيث يتسنى للجواد في اية لحظة ان يتخلص وان يعود إلى القصر .

وبعدئذ استانفت السير على قدميها حتى اقتربت من مكان السيارة وهنا برز لها "روسيني" ...

اسرع نحوها وتابط ساعدها وهو يقول : اسرعي .. أسرعي .. لقد داخلني القلق من غيابك وخشيت أن تكوني قد عدلت عن رأيك.. يالله . ايمكن هذا ؟؟ إنني لا أكاد اصدق عيني .. فابتسمت وقالت " يخيل إلي أنك سعيد ...

- إنني اسعد مخلوق في هذا العالم يا "هورتنس" ... وسوف تكونين سعيدة كذلك .. ثقي بان حياتك ستكون بعد الآن حلما ممتعا لانهاية له

وانني ساوفر لك كل أسباب النعمة والرفاهية .

- لاأريد نعمة .. أو رفاهية .

- ماذا تريدين إذن ؟!

- السعادة ...

- انا اكفل لك سعادتك ..

- ووصلا عندئذ إلى حيث كانت السيارة .. فادار "روسيني" المحرك ووثبت "هورتنس" إلى الداخل .. وما هي إلا لحظة حتى كانت السيارة تنهب بهما الأرض نهبا .. على أن السيارة لم تكد تصل إلى نهاية رصيف "إيف" حتى دوى طلق ناري من الغابة الواقعة عن يمين الطريق فاهتزت السيارة .. ومالت إلى الجانب الأيسر .. واضطر "روسيني" أن يوقفها في الحال ثم . وثب إلى الأرض والقى على السيارة نظرة سريعة ثم قال : لقد انفجر إطار إحدى العجلات .. فصاحت "هورتنس" :

- كلا .. لقد اطلق بعضهم النار على السيارة .

- هذا مستحيل ياعزيزتي ..

وفي هذه اللحظة .. دوى من جوف الغابة مقذوفان ناريان آخران. فضرب "روسيني" الأرض بقدمه وقال وهو يضع اصبعه في الثقب الذي أحدثته الرصاصة : هذا صحيح . ويل للشقي .. إذا وضعت يدي على عنقه .. ولكن ما العمل الآن ؟؟ ووقف بالقرب من السيارة..

وأرسل بصره على طول الطريق .. ولكنه لم ير احدا يستطيع أن يلتمس منه المعونة .

قال : سنقضي في هذا المكان ساعة على الاقل حتى يتسنى لنا إصلاح هذا العطب . فما قولك في ذلك أيتها العزيزة ؟ فوثبت "هورتنس" من السيارة . وأسرعت نحوه وهي تقول :

- سأذهب .

- لماذا !!؟ .. أين ؟! ..

- أريد أن أعرف .. لقد اطلق الرصاص على سيارتنا فيجب أن أعرف

الفاعل .

- بل أرجو أن تبقي معي .. يجب ألا نفترق يا "هورتنس" ..

- وهل تعتقد أنني أستطيع الصبر ساعتين أو ثلاثا حتى تفرغ من إصلاح العطب ؟؟

- ولكن .. مشروعنا ..! خطتنا ؟

- نستطيع أن نتحدث في هذا غدا .. أما الآن فعد إلى القصر.. وأعد حقيبتي ثم الحق بالضيوف الذين انطلقوا للصيد .. لابد أنهم افتقدوك.. وبحثوا عنك .

- "هورتنس" .. أنت تعلمين أن الذنب فيما حدث ليس ذنبي وأن.. فقاطعته :

- أنا لا أقول إن الذنب ذنبك .. ولكن الرجل الذي يريد أن يخطف إحدى النساء ويهرب بها حيث لايراها أحد .. يجب ألا يترك صاحبته على قارعة الطريق بضع ساعات .. لا لشيء إلا لأنه نسي إعداد عجلة إضافية للطوارئ .. إلى اللقاء ياعزيزي ..

وعادت أدراجها في الطريق التي قطعتها السيارة .. وكان من حسن حظها أنها وجدت جوادها حيث تركته .. فامتطته . وانطلقت به في طريق مقابل لقصر "لاماريز" .

لم يكن عندها شك في أن الذي أطلق الرصاصة على السيارة فعطلها هو البرنس "سيرج رينين" .

غمغمت تقول في غضب : إنه هو .. ولا أحد سواه .

واشتد بها الغضب لخذلانها .. حتى تفجرت الدموع من عينيها الساحرتين .. ولو كان البرنس "رينين" أمامها في تلك اللحظة لما ترددت في أن تنهال عليه ضربا بسوطها .

كانت ناقمة عليه أشد النقمة .. ليس لهذه الفعلة الأخيرة فقط.. وإنما كذلك لسلوكه حيالها في الأيام الثلاثة الأخيرة ، فقد كانت تشعر رغم أدبه الجم .. أنه يحاول اجتذابها إليه بمزيج من اللطف والقسوة.. ويحاول إخضاعها له بإذلالها .. وتحطيم إرادتها .

* * *

ووصلت "هورتنس" أخيرا إلى ذلك الوادي البديع الذي يطلق عليه القوم في تلك المنطقة اسم "سويسرا الصغيرة" .. ولاح لها في نهاية الوادي ذلك القصر العتيق المعروف باسم قصر "هالينجر". لكزت جوادها .. فراح ينهب بها الارض ولم تنقض بضع دقائق حتى أشرفت على سور القصر .. فسارت في محاذاته .. وما إن اجتازت بضعة أمتار .. حتى وقع بصرها أمام باب القصر على البرنس "سيرج رينين".

كان واقفا بجانب جواده .. كأنه ينتظرها ..

فلما ترجلت عن ظهر جوادها .. اقترب منها في الحال . وقبعته في يده . وحنى قامته أمامها باحترام شديد .. وشرع يشكرها لبرها بوعدها .. وإسراعها لمقابلته في الموعد .

ولكنها قاطعته بأن صاحت به : صبرا يا سيدي .. لي قبل كل شيء كلمة أريد أن أقولها .. لقد وقع منذ وقت قصير حادث لم أستطع تفسيره .

لقد أطلقت رصاصة على سيارة كنت أتنزه بها . فهل أنت الذي أطلقت هذه الرصاصة ؟؟

– نعم

فظهرت عليها علامات الدهشة الشديدة .

– إذن أنت تعرف !!

– إنك طرحت علي سؤالا ياسيدتي . فأجبتك عنه .

– ولكن كيف وجدت الجرأة على إطلاق الرصاص على السيارة وبأي حق؟؟

إنني لا أزعم أن لي حقا .. ولكني أديت واجبا .

– أديت واجبا ؟ ماذا تعني ؟

– نعم .. إنني لم أفعل غير ماحتمه علي الواجب .. فقمت بحمايتك من رجل أراد أن يستثمر الحالة النفسية التي تعانينها .. وأن ينتهز فرصة الحياة التعسة التي تحيينها .. فقاطعته بلهجة خشنة :

- سيدي .. إنني احظر عليك التحدث في هذا .. فإن لي مطلق الحرية في أن افعل ما أريد .. وقد ذهبت مع هذا الرجل بإرادتي .. ولم أكن .. فقاطعها بدوره قائلا :

- سيدتي .. إنني سمعت بطريق المصادفة ذلك الحديث العجيب الذي دار بينك وبين مسيو "روسيني" صباح اليوم .. وأدركت في الحال انك لست شديدة الارتياح إلى الفرار مع هذا الرجل .

وانا اشعر بان الخطة التي وضعتها وأنفذتها لإحباط مشروع "روسيني" تنطوي على شيء كثير من الغلظة . وفساد الذوق .. وانا اعتذر عن ذلك بكل تواضع وخضوع .. ولكني اردت مهما كلفني الأمر ، أن أمنحك فسحة من الوقت لإعادة التفكير . قبل أن تقطعي في مصيرك براي حاسم .

- إنني فكرت في الأمر مليا ياسيدي . ومتى حزمت رايي على امر ، فإنني لا ارجع ابدا فيما اعتزمت .

- بل إنك ترجعين في بعض الاحيان يا سيدتي .. والدليل على ذلك وجودك هنا الآن .

فعضت "هورتنس" على شفتها .. ولكن هذا الحديث كان قد رفه من حدته . وحدة غضبها .. فراحت تنظر إلى "رينين" وفي عينيها تلك الدهشة التي يشعر بها الإنسان حين يجد نفسه امام اشخاص غير عاديين ، قادرين على اكثر مما يستطيع الآخرون ، فعالين للخير .. لايصدرون فيما يبرمون عن انانية او منفعة شخصية .

اعترفت في الحال بينها وبين نفسها بانه لم يصدر فيما فعل إلا عن حسن نية وإلا - كما قال - قياما بواجب الرجل الشهم الكريم حيال المراة التي توشك أن تتعثر .

قال لها في لطف وهدوء : إنني لا اعرف عنك إلا القليل جداً يا سيدتي . ولكن هذا القليل فيه الكفاية لان يحملني على الاهتمام بامرك..

إنني اعرف عنك يا سيدتي انك الآن في السادسة والعشرين من عمرك

وانك فقدت أبويك وانت في سن الطفولة .. وانك اقترنت منذ سبعة أعوام بأحد أقرباء الكونتس "ديلروش" امراة عمك .. ولكن زوجك كان شابا غريب الاطوار ضعيف القوى العقلية . مما دعا اخيرا إلي وضعه في أحد مستشفيات المجاذيب . وبذلك استحال عليك الحصول على الطلاق .. ولما كان عمك قد بدد الدوطة "البائنة" التي تركها لك أبوك فإنك اضطررت أن تعيشي مع عمك وزوجته .

غير أن الحياة في قصر "لاماريز" كئيبة حزينة .. تدخل السام والملالة على نفس صبية مثلك ممتلئة فتوة ورغبة في أن ترى وتسمع وتتحرك . وزاد الطين بلة أن عمك الكونت وزوجته في شقاق دائم ..

وأعرف كذلك من أمر عمك هذا ، أن زوجته الأولى هجرته .. وفرت مع عشيقها .. وكان هذا العشيق هو الزوج الأول للكونتس . وقد جمعت النكبة المشتركة بين عمك الذي هجرته زوجته والكونتس التي هجرها زوجها . وتوهم الاثنان انهما يستطيعان ان يحيلا شقاءهما سعادة إذا تزوجا ، وقد تم الزواج بينهما فعلا ولكنهما لم ينالا في الحياة الزوجية السعادة التي كانا يبتغيانها . وكانت النتيجة ان ساد القصر جو حزين مكتئب مضطرب . ليس من شانه أن يرضي حسناء عصرية مثلك فاصبحت تتوقين إلى أي تغيير ولو من سيئ إلى اسوا .

وفي أحد الأيام قابلك "روسيني" . وشغف بك . وعرض عليك أن تهربي معه .. وانت لاتحبينه .. ولكنك تشعرين بان شبابك يوشك أن يذهب هباء . وانت فضلا عن ذلك ذات شغف بالمفاجات . وتريدين حياة حافلة .. نشيطة ..

صفوة القول .. إنك قبلت آخر الأمر أن تهربي معه ولكنك كنت تضمرين له الغدر . وفي نيتك الا تنيليه منك منالا . وأن تفلتي من قبضته في أول فرصة . وكان لك من وراء هذه الخطة غرض آخر هو أن تحدثي بفرارك فضيحة تزعج عمك . وترغمه على النزول على إرادتك . فيرد إليك ما أكل من أموالك ، ويوقف عليك مرتبا شهريا يمكنك من أن تعيشي مستقلة عنه .

هذا كل ما اعرفه عنك يا سيدتي العزيزة ، والآن امامك أن تختاري بين أن تضعي نفسك بين يدي مسيو "روسيني" وبين أن تعهدي إلي بامرك .

* * *

سمعت "هورتنس" هذا الحديث الواضح الجلي دون أن تنطق بكلمة واحدة ، فلما فرغ البرنس "رينين" من كلامه ، رفعت إليه عينيها والقت عليه نظرة تساؤل ترى ماذا يريد هذا الرجل ؟

ولماذا يطلب إليها بتلك اللهجة الجريئة الرزينة أن تعهد إليه بامرها وتتخذه حاميا لها ونصيرا ؟!

هل طلب إليها ذلك بدافع من الرغبة البحتة في فعل الخير ؟

* * *

ترك لها البرنس "رينين" أن تفكر . وعمد إلى الجوادين فشد عنان أحدهما إلى عنان الآخر . ثم وقف امام باب القصر وراح يتامله عن كثب .

كان الباب مصنوعا من الخشب السميك المتين وقد سمر مصراعاه بقطعة من الخشب على شكل صليب .

والصق تحت هذا الصليب منشور انتخابي يرجع عهده إلى عشرين سنة مضت . وكان وجود هذا المنشور على حاله دون أن يناله اي تمزيق ، دليلا على أن احدا لم يفتح باب القصر منذ الصق هذا المنشور .. اي منذ عشرين سنة على الأقل .

اخرج البرنس "رينين" من جيبه خنجرا مزق به المنشور الانتخابي وكشف بذلك عن قفل الباب .

ثم اخذ من جيبه أداة أخرى . انتزع بها الصليب الخشبي الذي سمر على شطري الباب . وشرع بعد ذلك يعالج القفل بمهارة ولباقة .

وما هي إلا دقيقة واحدة حتى فتح باب القصر .. ورأى "رينين" وصاحبته امامهما أرضا فسيحة جدباء . ينهض وراءها قصر عتيق ذو أربعة ابراج .

تحول "رينين" إلى "هورتنس" وقال لها : ليس هناك ما يدعو إلى العجلة . وسيكون في وسعك في مساء اليوم أن تحزمي أمرك . وتتخذي قرارك . وإذا حاول مسيو "روسيني" مرة أخرى أن يقنعك ووفق في ذلك ، فإنني أقسم بشرفي ألا أقف في طريقك بعد ذلك أبدا .

أما الآن .. فإنك معي .. وأرجو أن تلقي إلي بالك .. وأن تنفذي ما اتفقنا عليه أمس . كما لو لم يكن قد حدث شيء ..

إننا قررنا أمس أن نزور هذا القصر . فهلمي بنا نزره .. ففي مثل هذه الزيارة تسلية وترفيه وقطع للوقت .. وأنا واثق أن الملالة لن تجد سبيلها إلى نفسك .

* * *

كان يتكلم بلهجة تحمل على الطاعة ، وكان أسلوبه وصوته يجمعان بين الأمر والرجاء فلم تحاول "هورتنس" رفضا . وشعرت برغبة غامضة في مرافقة هذا الرجل الغامض إلى حيث يريد الذهاب بها . دخل القصر فتبعته دون أن تنطق بكلمة ، وصعدت معه سلما حجريا متهدما وقابلهما باب موصد كذلك بقطعة خشب على شكل صليب ، فنزعها البرنس "رينين" وفتح الباب بالطريقة التي فتح بها باب السور الخارجي ودخل وتبعته "هورتنس" ، فوجدا نفسيهما في صالة فسيحة . بها بعض قطع من الأثاث قد تراكم عليها الغبار . وخيم فوقها العنكبوت .

وسار البرنس "رينين" إلى ستارة من القطيفة الزرقاء . قد نقش عليها شعار يمثل نسرا قابعا فوق صخرة . قال "رينين" :

– هذا بغير شك شعار الأسرة التي تملك هذا القصر وحرك الستارة فوجد خلفها بابا قال :

لابد أن هذا باب غرفة الاستقبال.

وقد وجد "رينين" شيئا من الصعوبة في فتح هذا الباب بالطريقة التي اتبعها مع البابين السابقين .

واضطر آخر الأمر أن يلجأ إلى قوته الجسمانية فأسند كتفيه إلى

الباب ودفعه دفعة قوية ففتح في الحال ولم تكن "هورتنس" حتى هذه اللحظة قد نطقت بكلمة واحدة . ولكنها راحت ترقب زميلها في فضول شديد .. ولم تتمالك نفسها من الشعور بالدهشة للمهارة العظيمة التي كان يمارس بها فتح الأبواب وقد ادرك "رينين" شعورها فقال : ليس اسهل علي من معالجة الاقفال .. فقد كنت في حداثتي شغوفا بهذه الصناعة الدقيقة .. ولكنها امسكت بساعده وغمغمت : الاتسمع !!

– ماذا ؟ وارهف اذنيه وما لبث ان قال : هذا في الحق غريب ..

فهتفت "هورتنس" وهي في اشد حالات الدهشة والذهول : أصغ.. اصغ .. أليس هذا عجيبا .

والواقع .. انهما سمعا صوتا منبعثا من مكان قريب . وكان الصوت منتظما ، فادركا في الحال . انه صوت ساعة دقاقة .. ادهشهما ان يسمعا في ذلك السكون الشامل هذا الصوت الوحيد الذي بقي حيا في ذلك القصر المهجور ..

ولكن باية معجزة ظلت هذه الساعة تتحرك طيلة هذه الأعوام ؟

غمغمت "هورتنس" وفي صوتها رنة جزع وذعر :

– هل هذا ممكن ؟ كيف تواصل الساعة عملها وكل الدلائل تدل على ان احدا لم يدخل القصر .

– نعم .. كيف تواصل الساعة عملها ؟؟

– إذن ؟

فلم يجب البرنس "سيرج رينين" ، بل عمد إلى النوافذ الثلاث ففتحها ، وسمح للضوء والهواء بان ينفذا إلى الغرفة .

كانت الغرفة حقا هي غرفة الاستقبال ، وكل شيء بها في موضعه . وليس ثمة اي أثر لاضطراب او فوضى في الاثاث كان اصحاب القصر قد تركوه فجاة دون أن يحرك احدهم شيئا من موضعه .

بل ولم تنقل الكتب التي كانوا يقرؤونها في قاعة الاستقبال من امكنتها ..

اقبل البرنس "رينين" على الساعة العتيقة يفحصها . ففتح دولابها

الخشبي الصغير . ورأى البندول يتحرك ..

قال : هذا عجيب فهذه الساعة من النوع الذي يعمل باستمرار لمدة اسبوع قبل أن يملأ فكيف حدث انها ظلت تعمل عشرين سنة.

رفع حاجبيه في دهشة حقيقية ولكنه لم يقنط من معرفة السر ..

وفجاة لاحظ لأول مرة وجود شيء في قاع صندوق البندول . فتناوله وفحصه . وازدادت دهشته ثم قال : هذا منظار مكبر .. فماذا جاء به هنا ؟! ثم إن حالته تدل على أن شخصا أعده ليرى به شيئا معينا .. ثم قذف به إلى جوف هذا الصندوق دون أن يعيده إلى حالته الطبيعية أي دون أن يغير طول انبوبتي المنظار ..

وفي هذه اللحظة دقت الساعة خمس دقات .. فتبادل "رينين" و"هورتنس" نظرة عجب ودهشة ..

ولم يجد البرنس "رينين" في الحال ما يميط اللثام عن سر هذه الساعة العجيبة ولكنه لم يقنط . ولم يستول عليه اليأس وقصد لتوه إلى باب في أحد اركان الغرفة فنفذ منه .. ووجد نفسه في قاعة صغيرة .. تدل جميع الدلائل على أن أهل الدار جعلوا منها غرفة للتدخين . فقد رأى بقايا لفافات التبغ في صفحات معدنية قد علاها الصدأ .

على أن ما لفت نظره أكثر من أي شيء آخر ، وجود صندوق من النوع الذي يستعمل في حمل البنادق ، موضوع فوق طاولة في غرفة التدخين .. وكان هذا الصندوق خالياً من بندقيته . ورأى "رينين" بالجدار تقويما نزعت أوراقه حتى يوم ٥ سبتمبر .

وكانت "هورتنس" قد تبعته إلى غرفة التدخين . فلم يكد يقع بصرها على هذا التاريخ حتى هتفت في دهشة : ما أعجب هذا ؟! نحن اليوم في ٥ سبتمبر وقد نزع أصحاب هذا القصر أوراق التقويم حتى يوم ٥ سبتمر .. أي منذ عشرين سنة بالضبط . فغمغم "رينين" :

– نعم .. هذا عجيب . ومعناه أن أصحاب هذا القصر قد أقاموا به حتى يوم ٥ سبتمبر منذ عشرين سنة تماما . ثم هجروه فجاة ولم يعد

احدهم إليه ..

- اعترف معي أن هذه المصادفات جميعا لاتخلو من الغرابة . - هذا صحيح .. ومع ذلك .. - ماذا ؟! هل خطر لك خاطر ؟!

فاجاب بعد تفكير قليل : إن ما يدهشني أكثر من سواه هو وجود هذا المنظار المكبر في صندوق الساعة .. بحالة تدل على انه أخفي في الصندوق في اللحظة الأخيرة ..

ولكن فيم كان يستخدم هذا المنظار ؟ إن الإنسان لايرى من خلال هذه النوافذ سوى أشجار الحديقة وجدار السور الذي يحيط بها .

والإنسان لكي يستخدم هذا المنظار يتعين عليه أن يصعد إلى ارتفاع عظيم ، فهل ثمة ما يمنعك من الصعود معي إلى برج القصر ؟

لم تتردد "هورتنس" . فقد اثارت فضولها تلك الملاحظات التي أبداها البرنس "رينين" . وشعرت برغبة شديدة في التغلغل معه إلى أعماق السر الذي يحيط بهذا القصر العتيق . فتبعته دون تردد ، وصعد الاثنان السلم الأساسي حتى إذا بلغا الطابق الثاني.. قصدا إلى السلم الحلزوني الموصل إلى قمة البرج . صعدا ذلك السلم على مهل . حتى بلغا نهايته . وانتهيا إلى شبه "كشك" علوي صغير ، ذي جدار يبلغ ارتفاعه مترين . نظرت "هورتنس" إلى "البرنس "رينين" في خبث وقالت:

- هانت ذا ترى انه لم يكن في الاستطاعة استخدام المكبر هنا كذلك .

فجدار هذا "الكشك" أعلى من قامة الإنسان والمنظار المكبر لايمكن أن يكون قد استخدم للإشراف من هذا البرج على المنطقة المجاورة .

اجاب البرنس "رينين" : إنني أرى غير هذا الراي وأعتقد انه لابد من وجود منفذ من هنا إلى الخلاء ورأى فجاة على جدار البرج من الداخل قطعة من الحديد أشبه بمطرقة الباب .. فمد إليها يده وحركها . فتحركت وكشفت عن ثقب .

فهتف البرنس "رينين" وفي عينيه نظرة فوز وظفر :

- انظري .. من هذا الثقب يستطيع الإنسان أن يطل على المنطقة المجاورة .

ووضع المنظار في الثقب فلم يسع "هورتنس" إلا الاعتراف بان ذلك الثقب قد صنع خصيصا لهذا المنظار والواقع أن الثقب كان يتسع تماما للمنظار بحيث لم يكن في الإمكان تحريك المنظار يمينا أو شمالا. وأرسل البرنس "رينين" بصره من خلال المنظار دون أن يحرك مداه أو بغير من طول انبوبتيه .. وراح يفحص المنطقة المحيطة بالقصر .

رأى الأدغال والأشجار المحيطة بالقصر على مرمى البصر . ورأى لأول مرة بقايا برج عتيق لقصر تخرب منذ عشرات الأعوام، وكان هذا البرج يقع على بعد سبعمائة متر تقريبا من المكان الذي وقف فيه "رينين" وصاحبته .

كان يحدث نفسه وهو يفحص محوطات القصر بقوله :

– ترى ماذا كان يتامل صاحب هذا المنظار ؟ إنني لأرى سوى الأشجار الباسقة المتعانقة وغير الحقول المنبسطة ، وهذا البرج الخرب .. إن هذا البرج هوفي الواقع الشيء الوحيد الذي يلفت النظر . وسدد طرف المنظار نحو بقايا البرج . وأنعم النظر بدقة ، وظل دقيقة أو دقيقتين ساكنا صامتا جامد الحركة . ثم نهض اخيرا واقفا وغمغم: هذا مخيف . هذا في الحق مخيف .

فسالته في قلق : ماذا ؟! – انظري .

وأعاد المنظار إلى الثقب . فركعت "هورتنس" على ركبتيها وأطلت منه على البرج العتيق ، ولكنها لم تره في وضوح وجلاء . واضطر البرنس" رينين" أن يغير مدى المنظار ويطيل أنبوبتيه لكي تتمكن من رؤية المنظر الذي وصفه بانه مخيف .

ومالبثت "هورتنس" ان رات شيئا رابها فغمغمت : إنني أرى ثوبين. فهتف بها : بل انظري بإمعان .. تاملي القبعتين والوجهين اللذين تحتهما .

فانعمت "هورتنس" البصر . وتبينت ما ارادها "رينين" على أن تتبينه . وجرت في جسمها رعدة شديدة وهتفت : يا لله .. هذا مزعج . هذا مخيف !

تبينت بواسطة المنظار مخلوقين أحدهما يرتدي ثياب الرجال والآخر يرتدي ثياب النساء وقد انكفا على وجهيهما فوق الصخور. قالت في جزع : إنهما هيكلان عظميان ..

هيكلان عظميان يرتديان ثياب الرجال والنساء . ولكن ترى من الذي نقلهما إلى هذا البرج ؟

– لا أحد – إذن كيف .. فقاطعها بقوله : إن هذا الرجل وهذه المرأة قد ماتا منذ سنوات في أثناء وجودهما في البرج ، وظلا في مكانهما حتى أكلت الغربان لحومهما . ولم يفتضح أمر هاتين الجثتين لسبب ما ، كان تكون زيارة هذا البرج محظورة على غير أصحابه .. أو يكون درج السلم المؤدي إلى البرج قد تهدم . فهتفت "هورتنس" وهي ممتقعة الوجه مرتجفة الأوصال : ولكن هذا مخيف .. هذا مخيف .

* * *

وبعد نصف ساعة تقريبا . برحت "هورتنس دانيل" و "سيرج رينين" قصر "هالينجر" وقصدا لتوهما إلى حيث يوجد البرج الذي اكتشفا به الهيكلين العظميين .. فالفياه أطلالا .. ووجدا ان من الخطر محاولة الصعود إليه وقد ادهش "هورتنس" ان "رينين" لم يتحدث بعدئذ عن هذين الهيكلين كما لو كان أمرهما لايهمه ولايعنيه .

وعندما دلفا إلى إحدى المشارب في الطريق لتناول الطعام ، لم يحاول "رينين" كذلك ان يسال صاحب المشرب عن ذلك القصر وعن سر إهماله وإغلاقه اما "هورتنس" فإنها لم تستطع ضبط شعورها والتغلب على فضولها فراحت تلقي على صاحب المشرب عشرات الأسئلة ولكن الرجل أكد لها انه انشا المشرب في تلك البقعة حديثا وأنه لايعرف اسم صاحب القصر والأملاك المحيطة به .. ولايعرف شيئا عن أسباب إغلاق القصر وإهماله .

* * *

وعاد الاثنان إلى قصر "لاماريز" . وظلت "هورتنس" طول الوقت تذكر ذلك المنظر البشع المخيف الذي شهداه في البرج . وتلقي على "رينين"

السؤال تلو السؤال ولكنه لم يجبها بما يشبع فضولها فملكها الضجر وصاحت : ألاتنوي التفكير في الأمر .. لابد من الوصول إلى حل .

فأجابها : نعم لابد من الوصول إلى حل فيما يختص بمسيو "روسيني" .

فهزت كتفيها وقالت :

– بل إنني يهمني أمر الهيكلين العظميين اكثر مما يهمني امر "روسيني" . – و "روسيني" ؟

– إنه يستطيع الانتظار .. أما أنا فلا استطيع .

فمن المحتمل الا يكون "روسيني" قد فرغ حتى الساعة من إصلاح إطار سيارته .

ولكن ماذا في نيتك أن تقولي له متى تقابلتما ؟ ذلك هو المهم .

– بل هناك ما هو أهم من ذلك . هناك الهيكلان العظميان اللذان اكتشفناهما اليوم .. هناك السر الغامض الذي يكتنف هذين الهيكلين فماذا في نيتك انت أن تفعل ؟

– ماذا في نيتي ؟ – نعم هل تنوي إخطار ذوي الشان بامر الجثتين؟

فاغرق "رينين" في الضحك وصاح : ولماذا ؟

– لكي يضطلعوا بحل هذا اللغز المعقد . فربما كشفوا عن جريمة او مأساة – نحن لسنا بحاجة إلى معونة احد لإماطة اللثام عن سر الجثتين . – ماذا تقول ؟؟ هل فهمت شيئا ؟؟

– بل فهمت كل شيء .. كما لو كنت قد قرات قصة صريحة مزينة بالصور .

فرمقته من ركن عينها كانها تشعر بانه يهزأ بها ، لكنها لاحظت من تقاطيع وجهه انه جاد فيما يقول هتفت في فضول : وإذن ..

وكانا وقتئذ قد أشرفا على قصر "لاماريز" فقال البرنس "رينين":

– لم يبق إلا أن نقوم ببعض التحريات ، وإلا أن نسال بعض الذين يعرفون هذا الإقليم حق المعرفة ، فهل تعرفين شخصا نستطيع الاطمئنان إلى معلوماته ؟!

- ولماذا لاتسأل عمي . إنه لم يبرح هذا الإقليم منذ نعومة أظفاره .
- هذا صحيح .. سأستفسر من الكونت "ديلروش" و سترين كيف تتبلج الحقيقة وترتبط الحوادث والمشاهدات .

* * *

وقد افترقا عند القصر فقصدت "هورتنس" إلى غرفتها وهناك وجدت حقيبتيها ورسالة غاضبة من "روسيني" يودعها فيها ويعلنها برحيله قرأت الرسالة وهزت كتفيها وغمغمت :

- لقد أحسن صنعا وتناست مغامرتها معه . وفرارها برفقته وأصبحت لاتذكر إلا أن البرنس "رينين" ذلك الرجل الغامض الغريب الأطوار قد أوقفها على حافة لغز معقد .. وتركها نهب فضول لن يقر لها قرار حتى تشبعه .

* * *

لحق بها "رينين" في غرفتها بعد قليل وقال لها : إن عمك في مكتبه .. فهل تذهبين معي إليه ؟

إنني أخطرته بقدومي فنهضت لساعتها .. وانطلقت في رفقته .

قال لها وهما يسيران جنبا إلى جنب : لي كلمة أريد أن أقولها ..عندما أفسدت عليك مشروع الهروب في صباح اليوم قطعت على نفسي حيالك عهدا وسترين بعد لحظة أنني وفي بالعهد.

- إنك لم تعدني بأكثر من شيء واحد .. هوأن تشبع فضولي إلى المغامرات والمفاجآت .

- سيكون لك كل ما تريدين .

* * *

وجدا الكونت "ديلروش" وحيدا في غرفته وأمامه زجاجة من الشراب وقد ملأ كأسا قدمها إلى البرنس "رينين" فاعتذر هذا عن قبولها قال الكونت محدثا "هورتنس" :

- وأنت يا "هورتنس" .. ألا تتناولين كأسا من هذا الشراب ؟ إنك تعلمين أنني لا أسرف في الشراب إلا في الأيام الأولى من شهر سبتمبر

.. وإلا في هذا اليوم بصفة خاصة . بمناسبة افتتاح موسم الصيد والقنص . ولكن حدثيني .. هل كانت نزهتك مع البرنس "رينين" ممتعة؟!

فقال "رينين" : إننا جئناك الآن بصدد أمر يتصل بهذه النزهة .. ونود ان نحدثك به .

– أرجو المعذرة . لأني مضطر إلى الارتحال إلى المحطة بعد عشر دقائق لاستقبال إحدى صديقات زوجتي .

– عشر دقائق فيها الكفاية وأكثر من الكفاية ..

– إذا كان ذلك فلامانع . وأشعل لفافة تبغ واستطرد :

– حسنا . تحدث بما تريد . فقال البرنس "رينين" وهو يشعل بدوره لفافة تبغ :

– لقد ساقتنا المصادفات اليوم إلى قصر لاشك انك تعرفه حق المعرفة وأعني به قصر "هالينجر" .

– نعم .. إني أعرف هذا القصر . ولكنه مغلق منذ ربع قرن على ما اذكر . ومما لاشك فيه انكما لم تستطيعا دخوله – بل استطعنا..

– إذا صح ذلك فلابد ان الزيارة كانت مسلية ..

– كانت مسلية جدا .. وقد وقفنا على اشياء غريبة ..

فساله الكونت وهو ينظر إلى ساعته : أشياء غريبة ؟ ماذا تعني؟ وهنا راح البرنس "رينين" يسرد عليه تفاصيل الزيارة .

قال : إننا دخلنا القصر ونفذنا إلى غرفة استقبال لولا نسيج العنكبوت لظننا أن اصحابها تركوها في التو واللحظة .

وما كدنا ندخل هذه الغرفة حتى دقت ساعة بالجدار خمس دقات .... فقاطعه الكونت : إنك تسهب في ذكر التفاصيل .

– إنك لم تقف بعد على كل شيء ياسيدي الكونت .. فإننا بعد أن تركنا غرفة الاستقبال . قصدنا في التو إلى برج القصر . ومن هناك راينا جثتين . أو على الأصح . راينا هيكلين عظميين في برج متهدم يقع ضمن حدود القصر ..

وقد عرفنا من الثياب التى كان صاحبا الهيكلين يرتديانها عندما قتلا أن احدهما رجل والآخر امراة .. فهتف الكونت :

- قتلا ؟!! وماذا يحملك على الاعتقاد بانهما قتلا ؟ مجرد الظن أليس كذلك ؟

- بل انا واثق بانهما قتلا . ولهذا جئت أسالك عن تفاصيل هذه المأساة التي ارجح انها اشتهرت في عهد حدوثها . اي منذ عشرين سنة تقريبا ..

فهتف الكونت : انا لم اسمع قط عن جريمة قتل او حادث اختفاء يجوز ان تكون له صلة بالمأساة التي تذكرها فقال "رينين" بلهجة الشخص الذي يشعر بخيبة الأمل :

- وا أسفاه .. كنت أرجو أن أقف منك على شيء من التفصيلات ..

- في هذه الحالة أرجو المعذرة .. سانطلق الآن إلى المحطة لاستقبال صديقة زوجتي ..

والقى على "هورتنس" نظرة فاحصة . ثم قصد إلى الباب .

لكنه توقف في الحال حين سمع صوت "رينين" وهو يقول له : اليس في استطاعتك يا سيدي أن تدلني على شخص من اسرتكم يستطيع إمدادي بالمزيد من المعلومات والإيضاحات ؟

- شخص من أسرتي !! لماذا ؟

- لأن قصر "هالينجر" كان في ذلك العهد ملكا لأسرة "ديلروش" فالشعار الذي وجدناه على الستائر وقطع الأثاث ، يمثل نسرا قابعا فوق صخرة . وهو شعار أسرة "ديلروش" .

وهنا ظهرت على وجه الكونت علامات الدهشة وعاد إلى حيث كان "رينين" جالسا في ارتياح وهتف : ماذا تقول ؟ إنني اجهل هذا ..

فهز "رينين" راسه وقال وهو يبتسم : انا واثق ياسيدي بانك لاتريد أن تعترف في سهولة بوجود صلة قرابة ولوبعيدة بينك وبين صاحب قصر "هالينجر" .

- هل تعني بذلك أنه رجل جدير بأن يبرأ منه ذووه ؟؟

– إنه ارتكب جريمة قتل يا سيدي . – ماذا تقول ؟!

وظهرت على وجه الكونت علامات الاضطراب والانزعاج فنهضت "هورتنس" بدورها واقفة بدافع الفضول والانفعال وقالت تحدث "رينين":

هل أنت واثق حقا بأن في الأمر جريمة قتل .

وأن شخصا من أهل القصر قد ارتكب هذه الجريمة ؟

– إنني واثق تمام الثقة .

– هل لديك من الأسباب ما يحملك على هذا الاعتقاد ؟

– أنا واثق مما أقول .. لأنني أعرف الرجل والمرأة اللذين قتلا.. وأعرف أسباب قتلهما .

وكان البرنس يتكلم بلهجة رزينة ، فأخذ الكونت "ديلروش" يسير في الغرفة جيئة وذهابا . وهو مطرق برأسه . ويداه معقودتان خلف ظهره..

قال أخيرا : لقد كنت دائما أشعر بأن أمراً غير عادي قد حدث في هذا القصر .. ولكني لم أحاول قط معرفة ما حدث .

والواقع .. أن أحد أقربائي كان يقيم في هذا القصر منذ عشرين سنة تقريبا . فإذا كنت واثقا مما تقوله ياسيدي البرنس ، فإنني أرجو – حرصا على سمعة الأسرة وكرامتها – أن يبقى في طي الكتمان أمر هذه الجريمة التي كنت أرتاب في وقوعها دون أن أعلم علم اليقين بأنها وقعت .

– وإذن أنت تقرر أن قريبك هذا ارتكب جريمة قتل ؟

– إذا كان قد ارتكبها ، فأكبر الظن أنه فعل ذلك مرغما ..

فهز "رينين" رأسه وقال : يؤسفني أن أضطر إلى تصحيح هذه العبارة يا سيدي العزيز ، إذ الواقع أن قريبك ارتكب الجريمة في ظروف وأحوال تدل على النذالة ، بل إنني لم أقع قط على جريمة دبرت ببرود ورباطة جاش كما دبر قريبك جريمته . – وكيف عرفت ذلك ؟؟

وهكذا جاء الوقت الذي يتعين فيه على البرنس "رينين" أن يتكلم وأن يفصح بما عنده ، فنظرت إليه "هورتنس" في فضول . وراحت ترقب

شفتيه في انتظار كل كلمة ينطق بها .

قال "رينين" : إن جميع الدلائل تدل على أن قريبك هذا كان متزوجا .. وكان يقيم على مقربة من قصره زوجان آخران فتوثقت أواصر الصداقة بين الأسرتين ولا أعلم على وجه التحقيق ماذا حدث بين الأسرتين ، ولا من هو الشخص الذي جلب الشقاء عليهما .

- ولكن هناك ما يحملني على الاعتقاد بان زوجة قريبك قابلت .. أو كانت تقابل الزوج الآخر - اعني زوج جارتها وصديقتها - في البرج المتهدم الذي ارتكبت فيه الجريمة .

وقد علم قريبك بخيانة زوجته فصمم على الانتقام . ولكن بطريقة لاتثير فضيحة ، ولاتلوث اسم العائلة وسمعتها ، وبحيث لايعلم أحد أن الزوجة الخائنة وعشيقها قد قتلا .

تذكر قريبك أن بالقصر برجا ، يشرف على البرج الذي اعتادت الزوجة الخائنة وصاحبها أن يجتمعا فيه ، فاحدث في جدار برج قصر "هالينجر" ثغرة حجبها بمطرقة باب قديم ، وراح ينتهز الفرصة لمراقبة العاشقين من خلال هذه الثغرة بواسطة منظار مكبر .

واخيرا قرر الزوج المهين أن يضرب الضربة القاضية .

ففي يوم ٥ سبتمبر منذ عشرين سنة . حانت له الفرصة المناسبة إذ كان القصر يومئذ خلوا من الخدم وكان العاشقان يتناجيان في البرج المتهدم . فصوب عليهما بندقيته وارداهما قتيلين .

وهنا كف البرنس "رينين" عن الكلام فساد صمت عميق بدده الكونت اخيرا بقوله :

- هذا صحيح . هذا ما وقع تماما ولاسبيل إلى نكرانه وبهذه الطريقة انتقم قريبي من زوجته الخائنة . استطرد "رينين" :

- وبعد أن انفذ القاتل خطته .. حجب الثقب بواسطة المطرقة ولم يبق عليه بعد ذلك إلا أن يبرر اختفاء زوجته ، ولم يكن اسهل عليه من أن يزعم بانها هربت مع عشيقها .

* * *

وهنا مرت بجسد "هورتنس" قشعريرة شديدة . تبلجت لها الحقيقة.. وأدركت الغاية التي يذهب إليها "رينين" . هتفت : ماذا تقول؟

فاجاب "رينين" : اقول إن قريب الكونت بعد ان قتل زوجته .. راح يتهمها بانها فرت مع عشيقها فصاحت "هورتنس" : كلا .. كلا .. لقد قال لك عمي : إن صاحب القصر كان احد اقربائه فلماذا تخلط بين الحوادث ؟

– إنني لا اخلط بين الحوادث ياسيدتي إذ الواقع انه لم تكن ثمة حوادث ، بل كان هناك حادث واحد وقد سردت تفاصيل هذا الحادث كما وقع .

فتحولت "هورتنس" إلى عمها ولكن الكونت لزم الصمت سالت نفسها : لماذا لايتكلم ! لماذا لايحتج ؟! الا يرى دقة مركزه ؟ ألا يشعر بان التهمة التي يوجهها إليه البرنس "رينين" صريحة لأنه الوحيد الذي فرت زوجته دون اعضاء اسرة "ديلروش" جميعا ؟ استطرد "رينين" قائلا :

– نعم لم يكن هناك سوى حادث واحد ففي الساعة الخامسة من مساء يوم ٥ سبتمبر منذ عشرين سنة أغلق صاحب قصر "هالينجر" أبواب قصره وانطلق بدعوى البحث عن زوجته وعشيقها . هجر القصر وترك كل شيء فيه على حاله ، ولم يحمل معه سوى البندقية التي ارتكب بها جريمته ، ولكنه تذكر في اللحظة الأخيرة ذلك المنظار المكبر ، واشفق ان يؤدي العثور عليه إلى اكتشاف الجريمة ، فالقى به في صندوق الساعة المثبتة بالجدار ، فاوقف المنظار بندول الساعة . ولما حاولت اليوم فتح باب غرفة الاستقبال عنوة ، أحدث ارتطامي بالباب هزة عنيفة ، فسقط المنظار من مكانه حيث كان عالقا بالبندول ، واستانفت الساعة عملها ، ودقت خمس دقات ، فاعلنت بذلك الوقت بالضبط الذي فر فيه القاتل من القصر .

فصاحت "هورتنس" : والأدلة ، إنني اطالبك بتقديم الأدلة . فأجاب

"رينين" بلهجة جدية :

- اتريدين الأدلة ؟؟ إنها كثيرة ، إذ من ذا الذي يستطيع قتل غريميه على بعد سبعمائة متر غير شخص شغوف بالصيد والقنص ويجيد إصابة الهدف ، أليس كذلك ياسيدي الكونت ؟ هل تريدين دليلا آخر ؟؟ لماذا ابقى صاحب القصر كل شيء على حاله ، فلم يحمل معه غير بندقيته ؟

ولماذا جعل القاتل يوم ٥ سبتمبر من كل عام موعدا لافتتاح موسم الصيد في أدغاله وغاباته ، وراح يسرف في هذا اليوم دون غيره من أيام السنة في تناول الشراب ؟؟ إنه فعل ذلك لينسى الجريمة التي يتراءى له شبحها ويمتلئ بها ذهنه في مثل هذا اليوم من كل سنة .

أتطلبين المزيد من الأدلة ياسيدتي ؟ هو ذا الدليل الحي ..

واشار باصبعه إلى الكونت "ديلروش" .

كان الكونت ممتقع اللون ، خائر العزيمة ، لايجسر على أن يرفع عينيه إلى وجه الرجل الذي راح ينبش الماضي بتلك المهارة العجيبة واطرقت "هورتنس" راسها .

لم تشعر نحو عمها بشيء من الشفقة لانها لم تكن تحبه .. بل لانه كان لديها من الأسباب ما يحملها على مقته وكراهيته وساد الصمت لحظة .

وفجاة نهض الكونت واقفا ، واقترب من "رينين" وقال له : سواء كان ماذكرته هو الحقيقة أولم يكن ، فإنك لاتستطيع أن تصف الزوج الذي ينتقم لشرفه بانه قاتل .

فاجاب البرنس "رينين" : صبرا ياسيدي الكونت . إنني لم اسرد هذه القصة إلا بصفة تمهيدية ، ولكن هناك صيغة اخرى للقصة اقرب إلى الحقيقة والواقع مما ذكرت .

- ماذا تعني ؟ - أعني أن الزوج لم ينتقم لشرفه كما زعمت أولا،

بل هناك مجال للافتراض بانه كان رجلا مفلسا ، وقد أراد أن يسطو على اموال صديقه كما سطا على عرضه ، فقرر ان يتخلص من

زوجته ومن صديقه في وقت واحد ، وبذلك يخلو له الجو ، فيقترن بزوجة صديقه ويستمتع باموواله ولذلك أغرى زوجته وصديقه على زيارة ذلك البرج المتهدم ، ثم قتله برصاص بندقيته ، واقترن بالأرملة .

– فصاح : كلا كلا . هذا كذب .

– إن في استطاعتي أن اقيم الأدلة على صدق ما أقول . والدليل المنطقي الأول . هو أن القاتل لايمكن أن يشعر بالندم ووخز الضمير إذا كان قد عاقب المذنب بقتله .

– إن الإنسان يشعر بالندم إذا ارتكب جريمة قتل مهما كان الدافع إلى الجريمة .

– وهل يدفع الندم القاتل إلى الاقتران بأرملة ضحيته ؟! إن لنا أن نتساءل هل كان الكونت مفلسا والأرملة غنية حين تم زواجهما؟ ولنا كذلك أن نتساءل ، هل كانت هناك علاقة اثيمة بين القاتل والأرملة دفعتهما إلى قتل الزوج لكي يخلو لهما الجو ؟

نعم إن هناك عشرات من الأسئلة لاتهمنا في الوقت الحاضر ، ولكن رجال العدالة يستطيعون معرفة الجواب عنها إذا أرادوا فترنح الكونت "ديلروش" في مكانه ، وغمغم :

– هل ستخطر رجال العدالة ؟ – لا .. لا .. إن وخز الضمير عشرين سنة والشقاء العائلي ، والجحيم الذي يعيش فيه القاتل .. كل ذلك في اعتقادي عقوبة كافية . ولعل من أشد العقوبات وأهولها، أن يضطر القاتل الآن وقدافتضح أمره أن يفزع إلى الهيكلين العظميين فيحملهما بين يديه تحت جنح الظلام ويواريهما التراب ، قبل أن يقع عليهما شخص آخر لايقدر ظروفه فيسوقه إلى أيدي العدالة فتنهد الكونت وغمغم : إذن ، إذن لماذا ..

– إذن لماذا اهتممت بالأمر ؟؟ لابد أن تشعر بانني أرمي من هذا الاهتمام إلى غرض ، ولكن لاتجزع ياسيدي الكونت فإنني لن أطالبك بما يعجزك .

وهنا تنفس الكونت الصعداء ، وشعر بان النضال انتهى ، ولم يبق

عليه إلا أن يضحي ببعض ماله . فيستر جريمته بشراء سكوت البرنس "رينين" ساله في شيء من التهكم : كم تطلب ؟

فضحك "رينين" وقال : يسرني أنك فهمت الموقف على حقيقته . ويجب أن تعلم فقط بانك تخطئ إذا اعتقدت انني أسعى لغرض شخصي .. فدهش الكونت وسال : إذن ؟!

- كل ما اطالبك به .. هو أن تعطي صاحب الحق حقه ...

- لاأفهم ما تعني .. فانحنى "رينين" إلى الأمام . وقال بلهجة حاسمة:

- توجد في احد ادراج هذا المكتب وثيقة ينقصها توقيعك .. وهذه الوثيقة خاصة بجزء من املاكك يراد تحويله إلى ابنة اخيك "هورتنس دانيل " .. وقيمة هذه الأملاك تعادل المبالغ التي تركها ابوها وبددتها انت ... وكل ما أريده منك الآن هو أن تضع اسمك على هذه الوثيقة .

فرفع الكونت راسه بحدة وبدت عليه علامات التمرد ..

سال : هل تعرف قيمة الأملاك التي يراد مني النزول عنها ؟ -لااريد أن اعرف وإذا رفضت ؟

- وإذا رفضت فإنني أطلب في الحال مقابلة الكونتس "ديلروش" .. فهي قد يهمها أن تعرف مصير زوجها الأول .. كان التهديد صريحا . فلم ينتظر الكونت اكثر من ذلك ونهض في الحال إلى احد ادراج المكتب ففتحه .. وأخرج منه وثيقة مطوية .. فبسطها امامه .. ووقع عليها بإمضائه . ثم قدمها إلى البرنس وهو يقول : إليك الوثيقة .. وأرجو ..

- أنت ترجو ما أرجوه .. فكلانا يتمنى الا يرى وجه صاحبه بعد الآن .. إلى اللقاء يا سيدي .. سارحل في المساء .. وسترحل ابنة اخيك غدا .

وخرج .. وتبعته "هورتنس" .. ولما وصلا إلى غرفة الاستقبال . ولم يكن بها أحد .. قدم "رينين" الوثيقة إلى صاحبته . وسالها في رفق : والآن .. هل مازلت ناقمة علي ؟؟

فمدت إليه يديها وغمغمت : إنك انقذتني من "روسيني" .. ورددت إلي اموالي وحريتي ..
فاشكرك من اعماق قلبي ..
- إنني لا أطالبك بالشكر .. لقد كان كل غرضي في بداية الأمر أن ادخل شيئا من السرور والتسلية على نفسك الحزينة فهل تعتقدين اني وفقت ؟
- كيف تلقي علي مثل هذا السؤال ؟ لقد مرت بي اليوم دقائق لن انساها واصبحت أعتقد أن الحياة لاتكون حياة بمعناها الحقيقي إذا اقفرت من المغامرات .
- إذا كنت ترين هذا الراي وتعتقدين أن المغامرة هي الحياة .. فتعالي معي .. وساهمي في مغامراتي فإذا وقعت بالغريزة أو بالمصادفة على اثر جريمة من الجرائم .. فاشتركي في كشف غوامضها.. وعاونيني على الترفيه من آلام الناس ومتاعبهم .. فهل توافقين؟؟
- أوافق من كل قلبي ..

- ٢ -

جريمة الشاطئ

كان اليوم الثاني من اكتوبر قطعة من الصيف رغم ان هذا الفصل كان قد انفرط أو كاد . وقد أغرت حرارة الجوسكان "ايتربتا" على الخروج إلى الشاطئ لقضاء ذلك اليوم بين أمواج البحر ورماله .

وقد كان البرنس "رينين" وصاحبته "هورتنس" بين أولئك الذين ساقتهم الأقدار إلى شاطئ "ايتربتا" في ذلك اليوم .. فقلبت الصبية البصر بين السماء والماء وغمغمت : ما أبدع الجو اليوم .

ثم استطردت بعد لحظة : بيد اننا لم نجئ اليوم بقصد الاستمتاع بجمال الطبيعة .. أو للتحقق من أن هذه الصخرة الواقعة على الشاطئ كانت حقا ملجا لـ"أرسين لوبين" في احد الأيام .

فقال البرنس" رينين" كلانا لم يجئ لهذا أو لذاك واعترف ان الوقت قد حان لإشباع فضولك .. ولو إلى حد ما . واقول إلى حد ما إن ابحاثي وجهودي طيلة اليومين الأخيرين لم تسفر عن النتيجة التي كنت اتوقعها . – تكلم إذن .. إنني مصغية إليك .

– لن أطيل عليك الحديث .. ولكن لابد من بضع كلمات على سبيل التمهيد .

انت تعلمين يا صديقتي العزيزة أنني ابحث عن المغامرات حيثما توجد . وإني لذلك اكلف بعض أصدقائي بإخطاري عن كل حادث أستطيع أن أجد فيه شيئا من الغموض أو التسلية .. وقد حدث في الأسبوع الماضي ان اخطرني احد اصدقائي بانه سمع عفوا حديثا تليفونيا جرى في منزله بباريس . فقد اتصلت إحدى السيدات تليفونيا بشخص يقيم في فندق بإحدى المدن الكبرى القريبة ولم يعرف صديقي اسم الرجل أو اسم الفندق أو اسم المدينة .. وكانت السيدة تتحدث باللغة الإسبانية بلهجة غير مألوفة .. بل وكانت تحذف مقطاع بعض الألفاظ ليتعذر على السامعين فهم كلامها وعلى

الرغم من كل ذلك .. فقد استطاع صديقي أن يلم باطرف أهم نواحي الحديث . وأن يقع على أهم المعلومات التي كانت السيدة تحرص على كتمانها ويلخص ما فهمه صديقي في ثلاث نقاط :

أولا : إن هذه السيدة والرجل الذي تحدثت إليه - وهو شقيقها - يتوقعان مقابلة سيدة أخرى تود التخلص من زوجها مهما كلفها ذلك . ثانيا : إن موعد المقابلة تحدد مبدئيا في يوم ٢ أكتوبر .. على أن يتم هذا التحديد بصفة نهائية قاطعة بواسطة إعلان قصير ينشر بإحدى الصحف في لباقة وحرص . ثالثا : أن تعقب مقابلة ٢ أكتوبر نزهة على الشاطئ ترافق فيها السيدة الأخرى زوجها الذي تريد الخلاص منه .

هذه هي الحقائق الأساسية . ومن تحصيل الحاصل أن أصف لك مبلغ عنايتي بقراءة الإعلانات الصغيرة التي نشرتها الصحف الباريسية في الأيام الأخيرة .. على أن جهودي لم تذهب هباء .. فقد وقعت في إحدى الصحف صباح أمس على الإعلان التالي : "المقابلة ٢ أكتوبر - ماتيلدا " .

وقد استنتجت أن الجريمة سترتكب على شاطئ البحر . وهو استنتاج يتفق وما تقرر من القيام بالنزهة على هذا الشاطئ . ولما كنت أعرف أن في هذه الناحية صخرة يطلق عليها اسم "ماتيلدا" فقد أتينا الآن لكي نفسد على أولئك الأشرار نياتهم .

فقالت "هورتنس" تستفسره : أتعني أن في الأمر جريمة ؟ هذا مجرد افتراض بلا ريب .

فأجاب "رينين" قائلا : لا فقد ورد في سياق المحادثة التي استرقها صديقي ذكر مسألة زواج ..

زواج الأخ بالسيدة التي تريد الخلاص من زوجها . أو زواج الأخت بزوج هذه السيدة ،وهذا مما يقوي فكرة وجود جريمة مبيتة.

– وكان مجلس "هورتنس" و "رينين" على شرفة الكازينو في مواجهة السلم المؤدي إلى الشاطئ .

فشاهدا أربعة رجال يلعبون الورق أمام أكشاك الاستحمام وقد جلس غير بعيد عنهم بعض نساء يتجاذبن أطراف الحديث وهن يشتغلن بالتطريز . وراح نفر من الأطفال يمرحون على الشاطئ وقد غاصت أقدامهم في أمواجه . ولم يكن يلفت النظر فوق ذلك سوى أحد الأكشاك وقد تميز بوقوعه منعزلا عما جاوره وبإغلاق بابه . فقالت "هورتنس" :

– الحق أن صفاء الطبيعة وجمال المشاهد التي أمامنا لا يقعان من نفسي وقع تلك الآراء التي سردتها . نعم لقد شغلتني تلك الجريمة الغامضة التي تخشى وقوعها .

– أصبت فإنني أخشى وقوعها كما تقولين . وأرجو أن تصدقيني إذا قررت لك أنني جلست أقلبها على جميع وجوهها منذ أمس الأول دون أن أفوز بنتيجة شافية بكل أسف ..

فهتفت تردد قوله : دون أن تفوز بنتيجة شافية ؟! إذن على أي وجه تنتهي هذه المسالة واستطردت تقول كأنما تخاطب نفسها : ترى من هو المهدد بالخطر من هؤلاء جميعا ؟ لقد وقع الاختيار على ضحية بلاريب .. ولكن من هذه الضحية ؟ أهي تلك الشقراء الجميلة التي تتمايل طربا وهي في ميعة العمر وزهرة الشباب ؟ أو هل سينشب الموت أظفاره في ذلك الرجل الذي ينعم بالتدخين؟ ومن من هؤلاء يطوي الضلوع على الغدر والاغتيال ؟ على أنه إذا كانت تلوح عليهم جميعا دلائل السعادة والاستسلام لعوامل اللهو البريء الذي ينهمكون فيه فإن الموت يحلق فوق رؤوسهم ويرفرف حولهم بجناحيه . فقال "رينين":

– هانتذي قد أخذت تنصرفين إلى الاهتمام بما يدور حواليك .. وقد بدأ اهتمامك يتجلى مبكرا .. ألم أقل لك من قبل إن الحياة مغامرة كبرى ، وليس هنالك ما يعادل المغامرة .. لكني أراك قد بدأت ترتعدين من قبل أن يقع شيء حقا . إنك ستساهمين في جميع الوقائع التي تدور أو ستمثل حولك ، وأرى أن الشعور بالخوف الذي يحوطك قد وصل إلى قرارة نفسك .. أراك تحدقين إلى تلك الأسرة التي تتقدم نحونا .. فهل عندها سر الجريمة المخبوءة ؟ قد لا يبعد أن يكون هذا

الرجل هو الذي يضمر التخلص من زوجته .. أو ربما كانت هذه السيدة هي التي تنوي القضاء على زوجها .. فهتفت "هورتنس" قائلة: عائلة "امبرفال" ! كلا .. هذا مستحيل .. فهي أسرة هانئة وادعة .. وكنت اتحدث بالأمس مع الزوجة ، وكذلك كان من نصيبك أن تبادلها الحديث .

– إنني قد لعبت الجولف مع "جاك امبرفال" الذي يهتم بالالعاب الرياضية . كما ساهمت مع ابنتيه الفاتنتين في إحدى العابهما .

وفي هذه اللحظة دنا "امبرفال" وزوجته من مجلس "هورتنس" و "رينين" فبعد أن تبادل الجميع بعض عبارات التحية ذكرت مدام "امبرفال" أن فتاتيها قد عادتا إلى باريس صباح اليوم مع المربية ، بينما وقف زوجها ذو اللحية الشقراء يتافف من الحر وقد تابط سترته.

واصل الاثنان سيرهما وما كادا يبتعدان عن رينين" و "هورتنس" بنحو عشر خطوات حتى وقفا على راس سلم الكازينو وقال "امبرفال" يسال زوجته : هل معك مفتاح الكابين يا "تيريز" ؟

فاجابته قائلة : هاهو ذا .. اتذهب إلى الكابين لمطالعة الصحف؟ فقال "امبرفال" نعم .. إلا إذا استحسنت ان نقوم بجولة معا .

فقالت : أرى أن نؤجل السير إلى ما بعد الظهر . فهل توافق على هذا ؟ إن لدي عشرة خطابات يتحتم على كتابتها ..

فقال "امبرفال : كما تشائين .. وسنصعد فوق الصخرة بعد الظهر . هنالك لم يتمالك "رينين" و "هورتنس" ان يتبادلا نظرة تنم عن الدهشة فهل كانت خطة هذه النزهة مرسومة من قبل ؟ وهل هذه الأسرة هي ضالتهما المنشودة ؟

ضحكت "هورتنس" ضحكة مفتعلة وقالت :

– إن قلبي يدق دقا عنيفا .. ومع ذلك فإني لا أستطيع أن أسلم بإمكان حدوث مثل هذه المسالة . فقد قررت الزوجة امامي ذات يوم أنه لم يقع بينها وبين زوجها مشاحنة ولو طفيفة .. كلا من الجلي أن

هذين الزوجين يتمتعان بالثقة المتبادلة والحياة الزوجية السعيدة .

وهبط الزوج "امبرفال" درجات السلم ، بينما وقفت زوجته متكئة على حاجز الشرفة بقوامها الرشيق ، ومع انها كانت على حظ وافر من الملاحة فقد كان محياها حينما يتلاشى ما يعلوه من ابتسام يشف عن الم خفي وحزن كامن .

وهتفت فجاة حينما شاهدت زوجها ينحني فوق رمال الشاطئ : هل اضعت شيئا يا "جاك" ؟

فاجاب قائلا : نعم فقد سقط المفتاح من يدي ..

فلحقت به وراح الاثنان يفتشان عن المفتاح ، ومالبثا ان اختفيا عن انظار "رينين" و "هورتنس" ، وتلاشى صوتاهما في جلبة اللاعبين .

على انهما ظهرا للعيان بعد قليل فصعدت مدام "امبرفال" بضع درجات من السلم ثم وقفت تجيل بصرها بين الامواج . اما زوجها فقد طوح سترته على كتفه واتجه إلى ناحية "الكابين" المنعزل وبينما هو يتقدم هتف به لاعبو الورق وطلبوا إليه ان يفصل في خلاف شجر بينهم في اثناء اللعب لكنه اعلن عن رفضه لهذه المهمة بحركة من يده ، وابتعد عنهم واستانف سيره حتى بلغ "الكابين" ففتحه ودلف إلى الداخل .

اما تيريز "امبرفال" فقد اتجهت نحو الشرفة وجلست فوق احد المقاعد زهاء عشر دقائق . ولم تلبث ان غادرت الكازينو ، ورآتها "هورتنس" تدخل في احد الابنية الملحقة بفندق "هوفيل" وظهرت بعد ذلك في شرفة المبنى .

وقال "رينين" : لقد اذنت الساعة بالحادية عشرة .. ولن ينقضي وقت طويل حتى يذهب شخص مجهول إلى الموعد المحدد .. ويحتمل ان يكون هذا الشخص هو هذه السيدة او زوجها .. او احد هؤلاء اللاعبين . او احد رفاقهم ..

ورغم ذلك فقد مضى عشرون دقيقة ، ثم تلتها خمس دقائق اخرى ولم يتحرك احد من موضعه وقالت "هورتنس" آخر الامر وقد زايلها

تماسك أعصابها : ألا يحتمل أن تكون مدام "أمبرفال" . قد ذهبت إلى الموعد المعلوم ؟.. فهي لم تعد إلى الشرفة بعد ..

فقال "رينين" : إذا كانت قد توجهت إلى صخرة "ماتيلدا" فسنفاجئها عندها .

ونهض "رينين" من مجلسه .. وفي هذه اللحظة ثار بين اللاعبين خلاف جديد وعلا ضجيجهم ، وقال واحد منهم : لنحكم "أمبرفال" بيننا .. فقال آخر : كما تشاء .. وأنا أتعهد بالنزول على حكمه إذا قبل أن يفصل بيننا .. لكنه رفض بخشونة من برهة وجيزة أن يبدي حكما .

وهتف الجميع في نفس واحد قائلين : "أمبرفال" !.. "أمبرفال"!..

ولاحظ اللاعبون أن "أمبرفال" حينما دخل إلى "الكابين" أغلق الباب خلفه ، الأمر الذي يجعله في ظلام دامس في الداخل ، لاسيما أنه لم يكن للكابين نوافذ ، فقال أحدهم : لابد أنه قد نام .. فلنوقظه .. وهتفوا مرة أخرى معا : "أمبرفال" ! .. "أمبرفال" ..

ونهض اللاعبون الأربعة واتجهوا إلى ناحية الكابين ، وهم يهتفون باسم "أمبرفال" ، دون أن يجيبهم فلما يئسوا من الفوز بالرد على نداءاتهم المتكررة راحوا يطرقون الباب قائلين :

– ماذا جرى يا "أمبرفال" ؟.. هل أنت نائم ؟ أما "سيرج رينين" فقد انتصب فجأة فوق الشرفة وقد لاحت عليه أمارات القلق الشديد ، حتى لقد انزعجت "هورتنس" من هيئته وهتفت قائلة : عسى ألا نكون قد تأخرنا .. ولم تكد "هورتنس" تتم عبارتها حتى قفز "رينين" فوق السلم قفزة قوية وأنشأ يعدو متجها إلى الكابين ، فبلغه في اللحظة التي هم اللاعبون فيها باقتحام بابه . فصاح فيهم في لهجة الآمر قائلا : قفوا

لابد أن يسير كل شيء بنظام فقالوا يسألونه وقد بهتوا لرؤيته : ماذا تعني ؟

لكنه لم يجب وإنما صوب إلى الباب نظرات فاحصة ، ومالبث أن راح يحاول الصعود إلى السقف ، فلما بلغه بعد مشقة أخذ يصوب

بصره إلى داخل الكابين ، بينما هتف اللاعبون يسالونه متلهفين : ماذا جرى ؟ اتبصر شيئا ؟ فقال وهو يعود إليهم : لقد كنت افهم حق الفهم أن المسيو "امبرفال" لم يجب إلا لأن حادثا خطيرا يمنعه من ذلك.. فراح الأربعة يرددون عبارته قائلين : حادث خطير ؟ فقال "رينين":

- نعم .. فكل الدلائل تشهد بان مسيو "امبرفال" قد جرح .. أو فارق الحياة . فصاحوا يقولون : وكيف يجرح أو يفارق الحياة . وقد مر بنا من برهة وجيزة ؟

وأخرج "رينين" من جيبه مطواة واخذ يعالج القفل ، فلما نجح آخر الأمر وفتح مصراعي الباب ارتفعت صيحات الرعب والفزع من كل جانب . فقد شاهدوا "امبرفال" ممددا على وجهه فوق الارض وقد قبض بكلتا يديه على سترته وصحيفة كان يطالع فيها واخذ الدم ينبثق من ظهره فيصبغ قميصه بلون احمر قان . هنالك قال احد الرجال الأربعة:

- هذه جناية إذن ؟.. لكن هذا مستحيل .. فإنه لم يقترب احد من هنا.. ولو مر بنا احد لرايناه .. فإنه لايمكن أن يدنو من الكابين دون أن يقع بصرنا عليه ..

وهرع من بالشاطئ رجالا ونساء واطفالا يستطلعون جلية الخبر وتجمعوا أمام الكابين ..

كان بينهم طبيب اسرع بالدخول .. وما لبث أن راى انه قد جاء بعد فوات الأوان ، فقد رأى أن المسيو "امبرفال" قد فارق الحياة ، وقرر لمن حوله أنه مات متاثرا بطعنة خنجر .

واقبل عمدة البلدة بعد قليل وفي رفقته بعض الحرس والأهالي . فبعد أن عاين الجثة وتمت الإجراءات المالوفة في مثل هذه الحال حملت الجثة إلى حيث تشيع إلى مرقدها الأخير .

وتطوع بعض الأفراد بالذهاب إلى "تيريز امبرفال" زوجة القتيل لإبلاغها نبأ الفاجعة ، فوجدوها واقفة في شرفتها .

* * *

وهكذا ارتكبت هذه الجناية دون أن يتوصل أحد إلى إدراك

غوامضها ..

وكيف يعقل ان يقتل إنسان في فترة لاتتجاوز عشرين دقيقة على مشهد من هذا الجمع ، أو على الأقل في أثناء وجودهم على مدى الصوت منه ، وقد أغلق على نفسه باب الكابين من الداخل ، ولم يقتحم إنسان عليه الباب إذ وجد القفل سليما ؟

فاما الخنجر الذي أصيب منه بطعنة بين كتفيه ، فإن أحداً لم يهتد إليه .. وهكذا بدت هذه الجريمة شديدة الغموض والخفاء حتى لكانها سحر ساحر أو شيطان أثيم ..

ولم تستطع "هورتنس" أن تسير مع الذين ذهبوا لإخطار مدام "امبرفال" بالكارثة كما رغب إليها "رينين" أن تفعل . فقد كانت هذه هي المرة الأولى التي تقودها فيها مغامراتها مع "رينين" إلى مواجهة الجريمة والإشراف على وقائعها وملابساتها عن كثب ، حتى لقد احست برعشة تتمشى في كيانها واخذت تتمتم قائلة : هذا مريع حقا!

ويل للمجرم الأثيم ! . أواه يا "رينين" .. لقد كان في وسعك أن تعمل على دفع الكارثة وإنقاذ هذا التعس .. إن التفكير في هذا الخاطر يبعث في نفسي جزعا لاحد له .. لقد كان الواجب يحتم علينا أن نبادر إلى إنقاذه مادمنا قد وقفنا على طرف من انباء المؤامرة .. فاستخرج "رينين" زجاجة نوشادر من جيبه وادناها من انفها ؟ فلما هدأ روعها راح يتفرس في وجهها وقال يسالها : هل تعتقدين حقا بوجود صلة بين الجريمة التي ارتكبت الآن وبين تلك المؤامرة التي عزمنا على كشف غوامضها ؟

فادهشها سؤاله وأجابته قائلة : نعم . إنني أعتقد في ذلك اعتقادا راسخا .

فقال "رينين" : إذن فما دامت المؤامرة قد دبرتها زوجة ضد زوجها .. وقد ذهب الزوج ضحية لها .. فلا مناص لك من التسليم بأن مدام "امبرفال" الزوجة هي ..

فصاحت "هورتنس" قائلة : كلا . كلا .. إن مدام "امبرفال" لم تغادر

منزلها .. وفوق ذلك فلا يمكن ان اعتقد ان هذه السيدة الوديعة مجرمة تتلطخ يداها بدماء زوجها .. لا . لا .. لاريب ان هناك سراً خفيا في ظروف هذه الواقعة ..

– اي سر هذا الذي تعنين ؟

– آه .. إنني لم اعد اقوى على الفهم .. فإن كل هذه الوقائع تبدو لعيني شديدة الغموض لا أستطيع النفاذ بفكري إلى بواطنها.

– إنني اكاد ارى رايك أيضا . ولايبعد أن الحديث الذي دار بين الأخ واخته قد فهم على غير وجهه الصحيح . وفي وسعك ان تلاحظي أن الجريمة قد تمت في زمان ومكان يختلفان كل الاختلاف عما كنا نتوقع..

وامسك برهة ثم استطرد قائلا : وإذن فليس هناك ادنى صلة بين المسالتين .

فقالت "هورتنس" : لقد اصبحت عاجزة عن الفهم . وهذه كلها امور تبدو لعيني شديدة الغرابة والغموض . فقال "رينين" وقد لاحت على وجهه امارات التهكم : إن تلميذتي تضرب لي اليوم أسوا الأمثال بسلوكها .

– ماذا تعني ؟

– إن ما وقع امامك هو امر هين لاصعوبة فيه .. فقد شاهدت بعيني راسك ما حدث كانما هو أحد المشاهد السينمائية . ومع ذلك فمازلت عاجزة عن الفهم كانك تسمعين عن حادث وقع في مكان سحيق . فقالت "هورتنس" وقد احست بالخجل يساورها : ماذا تقول ؟ وهل فهمت أنت شيئا مما حدث ؟ فالقى نظرة على ساعته واجاب قائلا : لم افهم كل شيء ...

نعم إني كنت اول من صافح بصره مشهد الجريمة المروعة ، لكني لم اتوصل إلى كشف خفاياها بعد ، ومعرفة الدافع إليها . لقد انتصف النهار . ومتى رأى الأخوان أن احدا لم يحضر إلى الموعد المتفق عليه عند صخرة "ماتيلدا " فإنهما يعودان إلى الشاطئ.

ألا ترين أنه يجب علينا أن نبحث عن شريكهما الذي أعتقد اعتقادا راسخا بوجوده ؟ وكذلك عن العلاقة التي تربط هاتين المسالتين معاً ؟

واتجه الاثنان إلى ناحية المنازل الملحقة بالفندق ، فشاهدا في الطريق بعض الصيادين ، ووجدا لدى أحد المنازل جمعا حاشدا من الناس دفعهم الفضول إلى الوقوف والاستطلاع ، بينما وقف اثنان من الحرس يحولان بينهم وبين دخول المنزل . وقد حاول العمدة بنفسه أن يفرق الجموع عبثا ، وكان قد عاد من مركز البوليس حيث اتصل بالهاتف تليفونيا ، فاخطر بان وكيل النيابة سوف يحضر مع قاضي التحقيق بعد ظهر اليوم .

وقال "رينين" حينما وقف على هذه البيانات : هذه مهلة نستطيع في أثنائها أن نتناول طعام الغداء ولن يسدل الستار على هذه المأساة قبل الساعة الثانية أو الثالثة .

أسرعا في سيرهما لتناول الغداء . وكانت "هورتنس" قد احست بالتعب ينهك قواها ، كما كانت تساورها رغبة ملحة في استفسار "رينين" عما يبدو لعينيها شديد الغموض .. لكنه لم يجبها إجابة شافية . وما فتئ يصوب بصره إلى الشاطئ في أثناء الطعام من خلال نوافذ الغرفة التي تشرف على البحر فقالت "هورتنس" : هل تترقب احدا ؟ فاجابها قائلا : نعم . إنني التمس الأخ وأخته .

فقالت "هورتنس" : وهل تحسبهما يجازفان بالحضور ؟ فهتف "رينين" قائلا : بل هاهما قد اقبلا .. وهرع "رينين" إلى خارج الحجرة مسرعا .

وشاهدت "هورتنس" لدى رأس الشارع الرئيسي رجلا وامرأة يتقدمان بخطى مترددة كانهما على غير علم بالجهة التي يقصدانها . وكان الأخ ضئيل الجسم يضع على راسه قبعة رخوة "كاسكت" مما يلبسه سائقو السيارات . أما الأخت فكانت بدينة تلوح عليها دلائل القوة وقد ارتدت معطفا فضفاضا . وعلى الرغم من انها كانت متقدمة في السن فقد ظلت محتفظة باثار حسن قديم تلوح تحت النقاب

الشفاف الذي كانت تغطي به وجهها .

ولما رأى الاثنان تلك الجموع الحاشدة اتجها نحوها في خطوات تشف عن الاضطراب والتردد .

استوقفت الأخت بحاراً في طريقها ، واستفسرته جلية الخبر ، فما كاد يعلن إليها نبأ وفاة "امبرفال" حتى بدرت منها صيحة مكتومة وراحت تشق لها طريقا بين الجمع المحتشد .

فلما علم الأخ كذلك بحقيقة المسالة شق لنفسه طريقا بين الجمهور المزدحم حتى وصل إلى باب المنزل ، وهنالك راح يخاطب الحارسين قائلا :

– إنني صديق لـ"امبرفال" .. هاكم بطاقتي واسمي "فردريك استنج" .. وهذه شقيقتي "جرمين استنج" وهي صديقة حميمة لمدام "امبرفال" . لقد كانا في انتظارنا .. وكنا نحن الأربعة على موعد مهم فاخلى الحارسان سبيلهما وتركاهما يمران دون كلمة واحدة . وكان "رينين" في أعقابهما ، فدخل في أثرهما وفي صحبته "هورتنس" .

كانت أسرة " امبرفال" تحتل الطابق الثاني المكون من أربع غرف وصالون ، فاسرعت الأخت إلى إحدى هذه الغرف ثم ارتمت على ركبتيها قرب السرير الذي سجي عليه جثمان القتيل .

وكانت "تيريز امبرفال" في تلك الحجرة تبكي وترسل الدمع السخين بينما احاط بها نفر جلسوا حولها في صمت وسكون .

هنالك اقبل عليها الأخ وامسك بيديها في توجع وقال في صوت متهدج :

– ياصديقتي المسكينة .. يا صديقتي المسكينة .

وجعل "رينين" و "هورتنس" يحدقان طويلا إلى هذين الزائرين وقد أقبل الأخ على "تيريز" يواسيها على مثل هذه الحال . فقالت "هورتنس" تخاطب "رينين" في صوت خافت مرتعش النبرات :

– أيمكن ان تكون هذه المرأة قد قتلت زوجها من أجل هذا الرجل ؟ هذا محال .. هذا محال فقال "رينين" : ومع ذلك فإن بينهم معرفة وثيقة

وقد بلغنا من قبل أن "فريدريك استنج" واخته يتصلان بشخص ثالث هو شريكهما . . حتى انه ..

فقاطعته "هورتنس" قائلة : هذا محال .. هذا محال

شعرت "هورتنس" بعطف كبير على "تيريز امبرفال" على الرغم من تلك الاتهامات التي كانت تكال لها ، وما كاد "فردريك استنج " يقوم من جانبها حتى سارعت إليها وجلست بقربها واخذت تواسيها في رفق ، بينما دموعها تنحدر بلا انقطاع . أما "رينين" فقد وجه عنايته إلى مراقبة الأخ واخته مراقبة دقيقة ولم يدعهما يغيبان عن نظره لحظة .

ولقد طرح "فردريك" عنه أمارات التاثر واخذ يتنقل بين الغرف باحثا منقبا ، وراح يختلط بافراد الجمهور ويستفسر الناس عن كيفية وقوع الجريمة ، كما رافقته شقيقته في بعض طوافه .

فلما أتم المهمة التي أخذها على عاتقه عاد إلى جانب مدام "امبرفال" وهو يكاد يفيض عطفا عليها ورثاء لما الم بها .

وانفرد بعد ذلك باخته في الغرفة الخارجة وجرت بينهما مناقشة طويلة افترقا على أثرها وقد لاح عليهما انهما قد اتفقا على امر معين والما باطرافه جميعا .. وخرج "فردريك" من المنزل بعد ذلك وقد استغرقت هذه الاجتماعات والمحاورات مدة تتراوح بين ثلاثين وأربعين دقيقة . ووصلت في هذه اللحظة سيارة تقل النائب وقاضي التحقيق ، ولما لم يكن "رينين" يتوقع حضورهما بمثل هذه السرعة راح يخاطب "هورتنس" قائلا :

– يجب ان نعجل بالعمل .. لازمي مدام "امبرفال" ولاتفارقيها مهما حدث .

واخطر الأشخاص الذين يفتقر التحقيق إلى اقوالهم ، بالاجتماع عند الشاطئ حيث يبدأ القاضي تحقيقه الابتدائي ، وقد تقرر بعد ذلك أن يرجع إلى المنزل لأخذ اقوال مدام "امبرفال" خرج الجميع ولم يبق سوى الحارسين و "جرمين استنج" .. وجثت "جرمين استنج" للمرة الأخيرة إلى جانب فراش القتيل ، ثم أطرقت راسها وجعلت تصلي

طويلا . ثم نهضت وفتحت الباب المؤدي إلى السلم .. وهناك دنا منها "رينين" وقال يخاطبها : لدي كلمات قليلة أود أن ألقيها على سمعك يا سيدتي .. فلاحت عليها سمات الدهشة . بيد أنها أجابت قائلة :

– قل ما تشاء يا سيدي فإني مصغية إليك .. – لكن لايمكن أن أتكلم في مثل هذا المكان .

– إذن فاين تحب أن نتحدث ؟

– في مكان قريب من هنا . في الصالون . فأجابته في عنف قائلة :

– كلا .. فقال "رينين" : وما المانع ؟ إنك لم تصافحي مدام "امبرفال" ومع ذلك فانا اعتقد انها صديقتك على كل حال .. أليس كذلك ؟

ولم يترك لها وقتا كافيا لكي تفكر ، وإنما جذبها إلى الغرفة واغلق الباب خلفها ، ثم أسرع إلى مدام "امبرفال" وقد حاولت أن تغادر الغرفة وخاطبها قائلا :

– كلا يا سيدتي . أستحلفك أن تبقي وأن تسمعي ما يقال ، فإن حضور السيدة "استنج" يجب ألا يحملك على الخروج . إننا سنتحدث في مسائل شديدة الخطورة ، وسوف نبدأ الحديث فورا . ووقفت المراتان وجها لوجه وراحتا تتبادلان نظرات تفيض حقدا لايخفى على أحد .

وكانت "هورتنس"تعتقد حتى هذه اللحظة أنهما على وفاق وتفاهم في بعض المسائل ، فلما تجلى لها ما يضمران بعضهما لبعض من حقد دفين خشيت ان يحدث ما لا تحمد عقباه . فراحت تحض "تيريز" على الجلوس ، بينما "رينين" في وسط الحجرة وانشا يخاطب المراتين قائلا :

– إن المصادفة المحضة التي هدتني إلى الوقوف على الحقيقة ستهيئ لي أن انقذكما كلتيكما على شرط أن تذللا مهمتي بإطلاعي على كافة البيانات التي احتاج إليها . اما حقيقة الخطر الذي يتهددكما فانتما لاتجهلانه بل كلتا كما تعرفه معرفة جيدة ، وتدرك جيدا ما قد يتولد عنه من شر جسيم .

لكن الحقد يملأ عليكما شعاب نفسيكما .. وليس هناك سواي من يسيطر على الموقف سيطرة تامة ويستطيع أن يوجه السفينة إلى الوجهة المأمونة .. إن قاضي التحقيق سيرجع بعد نصف ساعة .

ويجب أن يتم الاتفاق بيننا على جميع التفاصيل قبل حضوره .

ما كادت المراتان تلمان بما ينطوي عليه قول "رينين" حتى لاحت عليهما دلائل الاضطراب .

بيد أنه لم يحفل بما أصابهما ، وإنما استطرد يقول في لهجة التسلط والأمر :

– نعم .. لابد ان نتفق .. وسوف يتم هذا الاتفاق سواء رضيتما او كرهتما .. فإن هذا الموضوع ليس وقفا عليكما وحدكما حتى تستاثرا به .. وإنما هناك فتاتان صغيرتان يا مدام"امبرفال" ومادامت الاقدار قد هياتني لهما ووضعتني في طريقهما ، فساقحم نفسي في تيار هذه الوقائع واعمل ما فيه خيرهما وما يقضيه الدفاع عنهما .. ولو تفوهت يا مدام "امبرفال" بكلمة واحدة فوق ما ينبغي او حدث اقل خطا لاصاب الفتاتين اذى بليغ .. لكن لن يقع شيء من هذا على الإطلاق.

ولقد لاحت على وجه مدام "امبرفال" أمارات التاثر حين جاء ذكر الفتاتين ، وأنشأت تبكي .. اما "جرمين استنج" فقد هزت كتفيها وبدرت منها حركة تدل على رغبتها في الخروج ، لكن "رينين" اعترض سبيلها قائلا : إلى أين تقصدين ؟ فاجابته قائلة :

– لقد استدعاني قاضي التحقيق .

– كلا .. – بل لقد استدعاني في جملة الذين دعوا لأداء الشهادة.

– إنك لم تكوني حاضرة وقت وقوع الجريمة .. ولم تعرفي شيئا مما وقع .. بل ليس هناك من يعرف شيئا عن هذه الجريمة . فهتفت المراة قائلة " بل إنني اعرف مرتكبيها ..

– محال فقالت المراة في لهجة الجزم واليقين : بل اعرف ذلك .. فالمراة "تيريز أمبرفال" فاهت بهذا الاتهام الصريح في نوبة غضب

مفاجئ وقد شفعت عبارتها بحركة تهديدية من يدها فانثنت إليها مدام "امبرفال" وصاحت بها قائلة :

– أيتها الشقية .. اذهبي من هنا .. اغربي عني .. يالك من امرأة شريرة .

فحاولت "هورتنس" أن تهدئ من روعها ، لكن "رينين" همس إليها قائلا :

– بل دعيها ..فهذا ما كنت أرمي إليه .. وما أردت إلا أن أواجههما بعضهما ببعض حتى تظهر الحقيقة .. وراحت مدام "استنج" ترتجف بتأثير ما وجه إليها من الإهانة فهتفت قائلة بدورها :

– أنا شقية .. ولماذا ؟ .. ألأني أتهمك علنا ! فصاحت مدام "امبرفال" قائلة :

– بل انت شقية على طول الخط .. هل تسمعين يا "جرمين" ؟ .. أنت شقية ..

واستمرت مدام "امبرفال" تنهال عليها بألفاظ الشتم والإهانة حتى هدأت قليلا ثورة الغضب التي استولت عليها .. أو ربما لم تجد لديها القوة الكافية للإمعان في خطتها .. فلما أمسكت راحت مدام "استنج" تثير الشجار من جديد وأخذت تلوح بقبضة يدها مهددة . بينما تقلصت عضلات وجهها فبدت كأنها عجوز تزيد على سنها الحقيقية عشرين عاما وأنشأت تخاطب مدام "امبرفال" قائلة :

– انت ! .. انت تجرئين على إهانتي !.. بعد أن ارتكبت جريمتك أتجسرين على رفع رأسك ولم يزل الرجل الذي اغتلت حياته ملقى على فراش الموت : لو كان لابد من نعت إحدانا بأنها شقية فليس إلاك .. نعم انت الشقية يا "تيريز" .. يا قاتلة زوجها ..

وتأججت نيران الغضب في صدرها وهي تفوه بهذه الكلمات القاسية التي راحت تقذفها قذفا في وجه صاحبتها .. وبسطت يدها تحاول لطمها حتى مست أظفارها وجه مدام "امبرفال" ، واستطردت تقول هادرة : لاتنكري انك قاتلة زوجك . لاتحاولي الإنكار .. إن الخنجر

لايزال هنا في حقيبة يدك وقد لمسه أخي بيده وهو يحدثك . بل لقد دس يده في الحقيبة ولمسه فخضبت الدماء أطراف أصابعه . نعم دماء زوجك يا "تيريز" . وإذا فرض أنني لم أتوصل بنفسي إلى الأمر . فهل حسبت أن مسألة كهذه تخفى علي ؟ أؤكد لك أن مجرد سماعي بنبأ الجريمة كان يكفي إذ ذاك لكي استنتج منه الحقيقة . لقد عرفت كل شيء يا "تيريز" . ولما اجابني البحار حين سألته عن سبب احتشاد الجمع خارج المنزل بأن السيد "أمبرفال" قد قتل . قلت لنفسي على الفور : بان "تيريز" هي قاتلته .

كانت "تيريز" تسمع كل هذه الاتهامات دون أن تنبس بكلمة واحدة . بل لم تبد منها أدنى حركة تدل على احتجاجها ، وخيل إلى "هورتنس" أن هذه المرأة قد تردت في هوة لاخلاص لها منها وأنها تشعر بيأس مطبق يأخذ عليها أبواب النجاة ، ولقد تجلت دلائل الحزن البالغ والألم العميق على صفحة وجهها بأجلى معانيها حتى لقد رثت "هورتنس" لحالها وأنشأت تستحثها للدفاع عن نفسها قائلة :

– أوضحي كل شيء .. أرجوك أن تتكلمي . لقد كنت هنا بالمنزل في أثناء وقوع الجريمة وقد شاهدتك بالشرفة . فكيف وصل إليك هذا الخنجر ؟ أفصحي .

فقالت "جرمين استنج" متهكمة : أتطلبين منها إيضاحا ! وهل تقوى على ذلك ؟ إن المظاهر السطحية لاتجدي فتيلا ، وهل تحسبين أن مشاهدتك لها قد تنفي عنها الجريمة ؟ إن الحقيقة الثابتة التي لاتجدي معها مواراة أو إنكار أن الخنجر هنا في حقيبة يدها ، نعم يا "تيريز" أنت القاتلة ، أواه كم قلت لأخي من قبل إنك سوف تقتلين زوجك ، لكن "فردريك" كان يحاول الدفاع عنك ، لأنه يحبك ويعطف عليك ، ومع ذلك فقد كان يتوقع هذه الجريمة ، وهاهو ذا المحذور قد وقع حقا ، وقد وقع بطعنة خنجر في الظهر ، ياللجبن ، وياللنذالة ، ولم نقل في أول الأمر شيئا أنا أو"فردريك" لكننا رحنا نفتش عن أدلة جرمك حتى اهتدينا إليها ، وسنكشف عن حقيقتك ، ونهتك سرك ، والآن لقد قضي

الأمر يا "تيريز" ، وليس لديك اقل أمل في النجاة ، فالخنجر في حقيبة يدك ، تلك الحقيبة التي أراك الآن تقبضين عليها وتشددين القبض . سيعود القاضي بعد قليل فيجد الخنجر في الحقيبة وعليه آثار الدماء. دماء زوجك الصريع وسوف يجد كذلك حافظة أوراقه بما تتضمن من الوثائق والمستندات .

اشتد بها الانفعال واحتقن وجهها حتى لم تستطع ان تستمر في حديثها . أما "رينين" فقد بسط يده متمهلا وأمسك بحقيبة "تيريز امبرفال" . لكنها لم تلبث أن جذبتها بعيدا عنه .. فخاطبها قائلا :

- دعيني أتصرف تصرفا معقولا يا سيدتي .. إن صديقتك "جرمين" محقة فيما تذهب إليه . فسوف يحضر قاضي التحقيق بعد قليل ، ولو عثر على الخنجر في حقيبتك فإنه سيصدر امره باعتقالك على الفور . لا ينبغي إذن أن يبقى هذا الخنجر هنا ، وارجو ان تدعيني أتصرف بما فيه مصلحتك .

وقد كانت نبرات صوته مفعمة رقة حتى لقد تشجعت "تيريز" وكفت عن إحجامها .. وتخلت عن الحقيبة آخر الأمر فتناولها وفتحها وإذا هو يستخرج منها خنجرا صغيرا .. وحافظة اوراق رمادية اللون . فدس "رينين" الخنجر والحافظة في جيب سترته الداخلي بهدوء .. بينما كانت "جرمين" تراقبه وقد استولى عليها الذهول .. وما لبثت ان قالت :

- هل جننت يا سيدي ؟ باي حق تستولي على هذه الأشياء .

فاجاب "رينين" بهدوء قائلا : هذه هي الوسيلة الوحيدة التي اطمئن بها على هذه الأدوات .. فإنني موقن ان القاضي لن يفتش عنها في جيبي .

فجابهته "جرمين" قائلة : لكني ساطلعه على ذلك أيها السيد .

فضحك "رينين" وقال : كلا . كلا . إنك لن تقولي شيئا . إذ لا دخل للعدالة في هذه الشؤون .

وإن ما بين شخصيكما من خلاف يسوى بينكما فقط . ولاحق لك ان

تقحمي القضاء في مسائل الحياة العامة أو الخاصة . فاهتاجت مدام "استنج" وراحت تقول محتدة :

– ولكن باي حق تتحدث على هذا النحو ؟ من انت ؟ .. هل انت صديق لهذه المراة ؟

– نعم . إنني صديقها . وقد بدات هذه الصداقة منذ أن اخذت تهاجمينها .

– إذا كنت أهاجمها فلأنها جانية ولا يسعك أن تنكر انها قد اغتالت زوجها .

– فقال " رينين" وقد لاحت عليه أمارات التماسك والهدوء : انا لا أنكر ذلك ونحن متفقوون جميعا على ان" جاك امبرفال" قد قتل بيد زوجته . لكن أكرر لك أنه لامناص من الحيلولة بين العدالة وبين هذا الشان .

– لكني ساتكفل بان أجعل العدالة تاخذ مجراها وأقسم لك على صدق هذا العزم . فإنه لابد من عقاب هذه المراة جزاء ما سفكت يداها من الدم المهدور .

فدنا منها "رينين" ولمس كتفيها ثم خاطبها قائلا : لقد سالتني منذ برهة باي حق أتدخل فهل لي الآن أن القي عليك هذا السؤال بعينه ؟ .

فأجابته قائلة : لقد كنت صديقة "جاك امبرفال" .

– فقال " رينين" : صديقته فقط ؟

فلم يرق في عينيها هذا السؤال وتجاهلته . واجترات بهذه العبارة:

– لقد كنت صديقته ، ومن دواعي البر بهذه الصداقة أن أنتقم لمصرعه .

– بل تلزمين الصمت كما لزمه " امبرفال " .

– إنه لم يعرف الحقيقة وقت أن فاضت روحه .

– هذا خطا ووهم بين . فقد كان في وسعه أن يتهم زوجته . وكان لديه وقت كاف لذلك .

لكنه لم يقل شيئا

– وماذا حمله على السكوت ؟

– لقد سكت من أجل فتاتيه .

لكن مدام " استنج" لم تشا أن تلقي سلاحها .. وبدا في عينيها عزم راسخ على الانتقام .

على أنها مع ذلك باتت تخشى " رينين" وقد أصبح يسيطر بشخصيته القوية على هذا المحيط المكهرب المفعم بالحفيظة والرغبة في الثار . ورات " جرمين " أخر الأمر مدام " امبرفال" قد انتعشت آمالها لوجود هذا العضد القوي الذي هبط عليها وهي موشكة أن تتردى في الهاوية .

والحق لقد قالت " تيريز" : كم اشكرك يا سيدي من كل قلبي . فإنك تدرك جيدا انني لم أشا أن أسلم نفسي إلى العدالة بسبب فتاتي . وإلا لما ترددت في ذلك لحظة واحدة . فإنني قد بدأت أشعر بالكلل والياس . وهكذا تغير الموقف وانقلب الوضع على أثر عبارات تفوه بها " رينين" فإن الجانية اخذت ترفع راسها وتتمالك جاشها . بينما انكمشت " جرمين" وكفت عن الاتهام ،

وقال "رينين" يخاطب مدام " امبرفال" في لهجة رقيقة :

– والآن . احسب أن في وسعك أن تفسري لنا كل شيء .

– فقالت مدام " امبرفال" : نعم . نعم في وسعي أن أرد على اتهامات هذه المراة . وأن أقرر الحقيقة مجردة من كل زيف أو تشويه . أليس كذلك ؟

– وتهالكت فوق أحد المقاعد وقد أخذت الدموع تنحدر من عينيها . ولاحت على وجهها سمات الألم البالغ .ولكنه ألم مجرد من شوائب الحقد والضغينة . وأنشأت تسرد قصتها قائلة :

– إن هذه المراة عشيقة زوجي . وقد انقضت أربعة أعوام على هذه العلاقة قاسيت في أثنائها أمر الآلام . ولقد جرؤت هذه المراة على أن تكشف لي بنفسها عن هذه العلاقة الآثمة ... وكان بغضها لي يفوق ما تكن من عشق لزوجي .

وقد راحت كل يوم تحاول إثارتي واستفزازي ، فكانت تحدثني

بالتليفون عما يقع بينهما من المقابلات .. حتى تضاعف من الي وتزيد في ياسي . فتدفعني بذلك إلى الانتحار كمداً وغما .

والحق لقد خطر ببالي الانتحار اكثر من مرة ، ولكني كنت ابعد هذه الفكرة عن ذهني من أجل بنتي . اما " جاك" فكان اطوع لها من البنان . لايكاد يعصي لها أمرا . حتى لقد طلبت منه أن يطلقني . ولقد انصاع "جاك" لهذه الفكرة تحت إلحاحها هي وشقيقها . وكنت على علم بكل هذه الدسائس التي تحاك حولي . والمس آثارها فيما يبديه " جاك" نحوي من غلظة في المعاملة وقسوة تفعم نفسي اسى وهما ولكنه لم يانس من نفسه مع ذلك شجاعة للإقدام على الطلاق . وهكذا كنت عقبة في طريقه . رحماك يا ربي .

هل قاسى احد مثلما قاسيت في هذه الدنيا من الالم والعذاب فهتفت " جرمين اسنتج " قائلة :

– كان في وسعك ان تحرريه من قيود هذا الزواج . ولا يجوز أن تقتلي رجلا لكونه يرغب في طلاقك . فهزت " تيريز" راسها وقالت :

– إنني لم اقتله بسبب رغبته في الطلاق . فلو انه كان يهم به حقا لما تردد في الانفصال والرحيل. وهل كان بوسعي أن افعل شيئا لو انه اقدم على ذلك حقا ؟

لكن مطامعك قد تشعبت يا " جرمين" ولم تقف عند حد . وأصبحت تتطلعين انت وشقيقك إلى ما هو اكثر من الطلاق . وقد رضخ لكما جاك" جبنا منه وقسرا عنه .

فتمتمت " جرمين" في صوت متهافت قائلة : ماذا تعنين ؟ ماذا تقصدين بهذا القول ؟

فصاحت " تيريز" قائلة : لقد كنتم تتآمرون على حياتي وتدبرون للتخلص مني .

فاجابتها مدام " استنج" في صوت حاد قائلة : بل انت كاذبة .

لكن " تيريز" لم تتغير لهجتها ولم تات بحركة تنفي بها هذا التكذيب وإنما استطردت تقول في هدوء : نعم كنت تدبرين لموتي يا

جرمين" .. لقد وقعت في يدي رسائلك الأخيرة إليه . وهي ست رسائل نسيها الشقي في جيبه . نعم لم يرد فيها ذكر هذه الكلمة الرهيبة .. كلمة الموت ... لكن خيالها يطل من بين السطور كالصبح لذي عينين .

لقد طالعت تلك الرسائل وأنا ارتجف من فرط التهيج والانفعال. ومع ذلك لم يخطر ببالي قط أن أثار منه أو أقضي عليه .. إن امرأة مثلي يا " جرمين" لا تقتل بمحض اختيارها . وإنما تقدم على ذلك في ساعة جنون .. فإذا كنت قد اقترفت هذه الجريمة ، فقد اقترفتها بعد أن طفح الكيل ...وبسببك انت ... وانثنت إلى

" رينين" كانما تساله إن كانت تؤاخذ على هذا القول .

لكنه اومالها يطمئنها ويشجعها على الاستمرار في سرد قصتها .

فاخفت وجهها بين راحتيها كانما تحجب عن ناظريها مشهدا رهيبا ارتسم امام بصرها فملأ نفسها رعبا وجزعا . اما

" جرمين استنج "فقد جلست في موضعها لا تبدي حراكا بينما كانت " هورتنس" تضطرم لهفة للوقوف على تفاصيل الجريمة والإلمام بخفاياها .

استطردت " تيريز" قائلة : لقد اعدت الرسائل المذكورة إلى حافظة اوراق زوجي . ولم افه امامه بكلمة واحدة أو ابد اقل إشارة تدل على وقوفي على حقيقة ما يبيت في صدري ومع ذلك فقد كان يتحتم علي ان اعجل بعمل حاسم لأن رسائل "جرمين" كانت تنبئ بقرب قدومها سرا إلى هنا في هذا اليوم . وقد خطر بذهني أول الأمر أن استقل القطار وانجو بحياتي ...

ودفعتني غريزة التعلق بالحياة إلى أن اتناول هذا الخنجر حتى ادافع به عن نفسي إذا ارغمتني الظروف على ذلك . على أننا ما كدنا ناتي إلى هذا المصيف حتى ارتضيت الموت وفضلته على هذا الكابوس الثقيل الذي كنت أرزح تحت اعبائه . ومع ذلك فقد ارتايت من أجل فتاتي أن يبدو موتي طبيعيا حتى لايتهم زوجي . لذلك وجدت في تلك الفكرة التي رسمتها يا "جرمين" ، فكرة القيام بنزهة على صخرة

"ماتيلدا" وجدت فيها ما يحقق غايتي وغايتك معا . فإن زلة القدم والسقوط من فوق هذه الصخرة هو امر مالوف لايثير شكا وهكذا غادرني "جاك" وقصد إلى الكابين ، وفي نيته ان يلحق بي عند صخرة "ماتيلدا" كما تم الاتفاق بيننا .

ولكن حدث في أثناء سيره إلى الكابين أن سقط منه المفتاح ، فلحقت به لكي أساعده في التفتيش عنه . وإذ ذاك فقط يا "جرمين" . وبسببك انت . بل بسبب تصرفك . فكرت في ارتكاب هذه الجريمة . ذلك أن "جاك" ما كاد ينحني للبحث عن المفتاح بين رمال الشاطئ وهو إلى جانبي ، حتى سقطت حافظة أوراقه دون أن يفطن لها .

ولقد سقط مع الحافظة صورة فوتوغرافية عرفتها في الحال . فهي صورة يرجع تاريخها إلى هذه السنة فقط وهي تمثلني مع فتاتي الصغيرتين إنك يا "جرمين" خير من يعرف ماذا رأيت في هذه الصورة.. فإنك قد نزعت رسمي منها وأحللت رسمك مكانه .. رأيت أمامي وجهك يا "جرمين" . وكانت إحدى ذراعيك تلتف حول عنق ابنتي الكبرى اما ذراعك الأخرى فقد كانت مدلاة في حجرك . إنك كنت يا "جرمين" .. امراة زوجي .. والأم المستقبلة لابنتي الصغيرتين .. وإنك ستتولين تربيتهما

ويحك يا "جرمين" .. لماذا تعجلت الحوادث على هذا النحو ؟ الم يكن في وسعك أن تعتصمي بحبل الصبر والانتظار؟ لماذا أحدثت في الصورة مثل هذا التبديل ؟ لقد كان مشهدها كافيا لكي يفقدني صوابي ويخرجني عن حالتي الطبيعية .. وكان .. الخنجر معي .. ورأيت "جاك" منحنيا . فلم اتمالك أن أغمدته في ظهره .. ادلت "تيريز" بهذه الاعترافات في نبرات تشف عن الصدق ... واحس "رينين"

و "هورتنس" بتأثر بالغ لم يانسا مثله من قبل ، فقد كانت هذه اول مرة يسمعان فيها مثل هذه التفصيلات من فم صاحبتها .. أما "تيريز" فقد خارت قواها أو كادت .. واخذت تهذي بكلام مختلط فهموا منه هذه العبارات :

- خيل إلي إذ ذاك أن أصوات الاستغاثة والاستنكار لاتلبث أن

تتصاعد من حولي ، وانه سيقبض علي من فوري .. لكن لم يقع شيء مما كنت اتصور .. فقد حدث القتل في ظرف فجائي لم يكن أحد يتوقعه .. وانتصب "جاك" حينما اعتدلت ، دون أن يخر على الرمال صريعا .

اجل لم يسقط "جاك" .. لم يسقط بل استوى على قدميه رغم تلك الطعنة التي أصبته بها في ظهره ولما وقفت لحظة على سلم الكازينو أرقب مايجري . شاهدته يضع سترته على كتفه لكي يخفي وراءها جرحه بلا ريب .. وانشأ يتقدم إلى الكابين في بطء يسير كنت ألاحظه من دون الناس جميعا . بل لقد تبادل حديثا موجزا مع بعض المعارف ممن كانوا يلعبون الورق . ولم يلبث أن سار رأسا إلى الكابين واختفى بداخله .. أما انا فقد عدت إلى منزلي بعد فترة وجيزة .. وقد خيل إلي أن ما وقع ليس إلا حلما مزعجا أو كابوسا ثقيلا .. وإنني لم اقترف جريمة القتل حقا .. أو على الأقل ان الجرح الذي أحدثته الطعنة هو جرح طفيف .. وأن "جاك" لايلبث ان يخرج .

ولقد ساروتني في ذلك ثقة بالغة سيطرت على شعوري حتى لقد وقفت في الشرفة فترة طويلة ارقب ما يجري ، ولو خطر ببالي لحظة واحدة أنه في حاجة إلى المعونة لما ترددت في الذهاب إليه وإغاثته . "لكني لم أعد أفهم مايجري فقد خرجت الأمور من يدي . ولم أقف على الحقيقة إلا ..

وخنقها البكاء حتى لم تستطع أن تكمل عبارتها . فتولى عنها الحديث "رينين" قائلا :

- إلا حين أقبل الناس لإخطارك بالفاجعة .

فقالت "تيريز" : هو ذاك .. وهنالك فقط أدركت حقيقة ما ارتكبت يداي من الجرم الشنيع ..

وشعرت بأني أكاد أفقد صوابي وأني أكاد أصيح في الناس قائلة : أنا القاتلة .. فلا تكلفوا انفسكم عناء البحث .. وهاكم الخنجر الذي ارتكبت به الجناية .. نعم أنا القاتلة ..

كدت أصيح على سمع من الناس بهذه الأقوال .. وإذ ذاك رأيت "جاك" التعس .. زوجي القتيل .. محمولا على الأعناق ..

كانت تلوح على صفحة وجهه أمارات السكينة وراحة النفس .. وعندئذ فقط أدركت واجبي .

فقد سكت "جاك" ولزم الصمت ، حتى فاضت روحه .. من أجل الابنتين ..

هنالك حدثتني نفسي أن أسكت كذلك وإلا أفوه بحرف واحد عن الحقيقة" .. وإذا كان قد أدرك واجبه في فترة احتضاره وقدر خطورة الموقف وآثر أن يغلق عليه باب الكابين وأن يلتقط أنفاسه الأخيرة في سكون فقد كان يضرب لي بذلك القدوة المثلى ويأمرني بالسكوت والدفاع عن نفسي ضد كل العوامل المحيطة بي . وضدك أنت يا "جرمين" ..

تفوهت "تيريز" بهذه العبارة في رباطة جاش . فقد رأت بعد أن انجلت عنها غمرة الجريمة وثابت إلى رشدها أن عليها واجبا نحو ابنتيها .. وصممت على النضال والمقاومة أمام هذه المرأة التي انتزعت منها زوجها وكانت تدبر قتلها . وامتلأت نفسها إرادة قوية وعزما راسخا .

أما "جرمين استنج" فقد ظلت طوال هذا الحديث صامتة لاتنبس بحرف واحد . على أنه لم يبد على وجهها ما ينم عن تأثرها وشعورها بشيء من وخز الضمير . ولم تلبث آخر الأمر أن ارتسم على محياها ابتسامة ساخرة ، كأنما أفعمت نفسها جذلا بما تطورت إليه الأمور . ولاغرو فقد أصبحت غريمتها تحت رحمتها .

وأخيرا تناولت "جرمين" قبعتها ، ونظرت في مرآة وأصلحت من هندامها ، ثم اتجهت إلى الباب تهم بالخروج . فأسرعت إليها "تيريز" تعترض طريقها قائلة : إلى أين تقصدين ؟

– إلى حيث أشاء .

– أتذهبين لمقابلة قاضي التحقيق ؟

– ربما . – إذن فلن ادعك تخرجين من هنا ..
– حسنا .. إذن فسابقى .. – وستطلعينه على ما وقفت عليه من البيانات ؟
– بالتاكيد .. ساقص عليه كل ماسردته الآن .. فقد سمعت منك كل ما يجب الوقوف عليه .
هنالك قبضت عليها "تيريز" من كتفيها وراحت تهزها وهي تقول: بل ساقدم له طائفة من البيانات تتصل بك يا "جرمين" .. وإذا ضاع كل أمل في نجاتي فلن ادعك تفلتين بجلدك .
– لايمكنك أن تفعلي شيئا ضدي ..
– بل في وسعي أن ابرز رسائلك وان اتهمك بما جاء بها ..
– اية رسائل ؟ – الرسائل التي تحرض على قتلي والتخلص مني .
– هذا كذب وبهتان .. فإنك تعرفين يا "تيريز" ان هذه المؤامرة التي تشيرين إليها لا أساس لها إلا في مخيلتك .. فلم افكر انا او "جاك" في موتك ..
– بل كنت تدبرين لموتي .. ورسائلك ابلغ شاهد عليك ..
– هذا إفك وتضليل .. فلم تكن تلك الرسائل سوى مكاتبات بين صديقين ..
– بل رسائل عشيقة .. وشريكة ضالعة في المؤامرة ..
– اثبتي ذلك . – إن الرسائل هنا ، في حافظة أوراق "جاك" .
– كلا .. – ماذا تقولين ؟
– أقول إن هذه الرسائل تتعلق بي ، ولذلك استرددتها .. أو على الأصح استردها أخي .
– إذن لقد سرقتها أيتها الشريرة ، لكنك ستردينها إلي .
وارتمت "تيريز" بجسمها عليها .. لكن "جرمين" قالت وهي تبتسم ابتسامة الظفر :
– إن الرسائل ليست معي .. فقد حملها أخي ..
– لابد أن يردها إلي إذن .. – لقد ارتحل وغادر هذه البقاع ..

– سوف اهتدي إلى مكانه . – نعم إن الاهتداء إليه أمر يسير .. لكنه لن يمكنك من العثور على الرسائل .. فما أهون تمزيقها وإعدامها .

فاستولى الياس على "تيريز" .. فلم تدر ماذا تفعل .. وبسطت يديها إلى "رينين" تلتمس العون .

فقال : لقد قررت الحقيقة . فقد راقبت شقيقها وشاهدتهما يستلان حافظة الأوراق من الحقيبة ويفحصان محتوياتها ، ولم يلبث اخوها أن أعاد الحافظة إلى موضعها بعد أن اخذ منها الرسائل ، ثم انصرف إلى الخارج وسكت "رينين" هنيهة ثم استطرد قائلا : أو على الأصح إنه انصرف وهو يحمل خمس رسائل فقط .. نطق "رينين" بهذه العبارة وهو يتصنع عدم الاكتراث بيد انه راح يراقب عن كثب تاثيرها في نفس المراتين ..

وهنا دنت كلتاهما منه وقد نمت نظراتهما عن استفسار عن مصير الرسالة السادسة . فقال "رينين" :

– يلوح لي أنه حينما سقطت حافظة أوراق "جاك امبرفال" فوق الرمال سقطت معها الرسالة السادسة .

والصورة الفوتوغرافية .. ولكن السيد " امبرفال" لم يفطن لغير الرسالة فتناولها ووضعها في جيبه .

فهتفت "جرمين" قائلة وقد اشتد اهتمامها : اانت على يقين مما تقول ؟

– نعم . فقد عثرت على هذه الرسالة في جيب سترته وهي معلقة بقربه على فراش الموت ...

وهاهي ذي الرسالة موقعة بإمضاء "جرمين استنج" .. وهي بما تتضمن من إرشادات موجهة إلى العشيق بشان ارتكاب الجريمة تقوم دليلا قويا على إثبات نية القتل .

والحق انني عجبت كيف تقدم مخلوقة أوتيت حظا من الفطنة والذكاء على مثل هذا التهور الذي يشف عن إهمال بين . استولى الياس على مدام "استنج" وأسقط في يدها ، حتى انها لم تحاول ان

تدافع عن نفسها ، بينما استطرد "رينين" يوجه حديثه إليها قائلا :

- في يقيني يا سيدتي أنك مسؤولة عن كل ماوقع .. فإنك حينما الفيت نفسك خالية الوفاض فكرت في استغلال غرام "جاك امبرفال" بك وذلك بمحاولة الاقتران به على الرغم من جميع العقبات التي كانت تحول بينكما وبهذا تستولين على ثروته وتتصرفين فيها كما يشاء لك الهوى .. إن معي الدليل على ذلك وفي إمكاني أن أبرزه .. ولقد قمت انت بتفتيش سترة "جاك" بعد أن اتممت بحثي ببضع دقائق .. ولقد تركت لك - بعد أن سبقتك واستوليت على الرسالة السادسة - ورقة صغيرة كنت تبحثين عنها كذلك باهتمام لأنها سقطت من الحافظة . وهي عبارة عن شيك بمبلغ ١٠٠ الف فرنك حرره "جاك امبرفال" باسم شقيقك وهو هدية قدمها "جاك" بمناسبة عزمه على الزواج بك . وإذن فقد وقع الشيك في يدك وسلمته لشقيقك ، وقد انطلق في سيارة إلى "الهافر" بناء على إرشادك ليستولي على المبلغ من المصرف .

لكني احب أن اخبرك انه لن ينال فرنكا واحدا من هذا المبلغ فإنني اخطرت المصرف تليفونيا بمقتل السيد "جاك امبرفال" وبإيقاف صرف اي شيك يقدم باسمه .. كما اقرر لك كذلك اننا سمعنا المحادثة التليفونية التي جرت بينك وبين شقيقك في الاسبوع الماضي باللغة الإسبانية .

ومن هذا يتضح لك اننا مطلعون على كافة الظروف التي تقترن بهذه القضية .. اليس كذلك ؟

كان "رينين" يلقي حديثه في لهجة الواثق المطمئن إلى انه لامعقب على قوله . وقد راح يصف الحوادث كما وقعت حقا وينتهي إلى نتائجها المحتومة .. فلم يكن هناك غير الخضوع لرايه والاستسلام لما يشير به . فهمت مدام "استنج" كل هذا ولم يغب عنها معناه الحقيقي .. فإن امراة ذكية مثلها تدرك جيدا أن من الخير لها أن تحني راسها وقت هبوب العاصفة ، وإلا اجتاحتها إذا اعترضت طريقها .. وإذن فقد وقفت بين يديه في خضوع واستسلام وقالت : إذن فبماذا تشير علي

– غادري هذه النواحي ..

– وإذا طلبت لأداء الشهادة ؟

– فلن يهتم أحد بطلبك . – ولكن إذا فرض أنني دعيت ؟

– فلتقولي إنك لاتعرفين شيئا . فاتجهت إلى الباب . على أنها لم تلبث أن وقفت قائلة :

– والشيك ؟ فهتفت مدام "امبرفال" قائلة : لتاخذه .. فانا لاأريد هذه النقود .

ولم يلبث "رينين" أن لقن مدام "امبرفال الاقوال التي تدلي بها أمام قاضي التحقيق . ثم غادر المنزل بصحبة "هورتنس" . وقد كان قاضي التحقيق ووكيل النيابة على الشاطئ يقومان بالتحقيق والاستجواب . وقالت "هورتنس" تخاطب "رينين" : إنني لا أملك إلا أن أرتاع كلما فكرت في أنك تحمل في جيبك الخنجر الذي قتل به "امبرفال" وكذلك حافظة نقوده .

فضحك "رينين" وأجابها قائلا : وما الذي يخيفك ؟ أتحسبين في هذا أي خطر ؟ إنني لا أرى في هذا ما يوجب القلق – الاتشعر بخوف ؟

– ومم أخاف ؟ – ألا تخشى أن يرتاب أحد في ظروف القضية؟ كلا.. لن يشك أحد في شيء . إننا سنتقدم للشهادة .. فنقرر أننا قد شاهدنا "امبرفال" فعلا حينما كنا جالسين على الشرفة .. ولن يكون من نتيجة هذه الشهادة سوى مضاعفة حيرة المحققين .. على انه يحسن بنا الا نغادر هذه البلدة في الحال . وإنما نقضي فيها يومين أو ثلاثة..

إن لك أن تطمئني وتنفي من ذهنك كل أسباب القلق .. فقد سوينا كافة الظروف ولن يستطيع أحد أن يهتدي إلى الحقيقة .. -إنني أرى على الرغم من ذلك أنك قد أدركت كل شيء كما هو في الواقع منذ البداية . – نعم وهذا هو الوضع الصحيح للقضية . لقد دخل الرجل إلى الكابين وأغلق الباب عليه ثم وجد مقتولا . فما الذي وقع حقا ..؟ لو كنت أقوم بالتحقيق في القضية لأدركت على الفور أن الجناية لم

ترتكب في داخل الكابين كما يظن .. وانه لابد أن يكون الرجل قد اصيب بالطعنة القاتلة قبل دخول الكابين .. وهذا هو ما استنتجته على الفور.. فقد ايقنت أن مدام "أمبرفال" التي قضي عليها بالموت في هذا اليوم قد استبقت الحوادث .. وانها قتلت زوجها حينما كان منحنيا يفتش عن المفتاح بين رمال الشاطئ ... قتلته في نوبة جنون عارض استولت عليها فجاة وافقدتها الرشد . فلم يبق علي إلا أن أبحث عن سبب الجريمة .. فلما وفقت إليه تداخلت في الأمر على النحو الذي رأيت ... هذه هي القصة بحذافيرها .

* * *

كان الليل قد بدا يرخي سدوله على هذه البقعة الجميلة التي سفك الدم بين جوانبها . وخيم الصمت فوق "رينين" و "هورتنس" فترة وجيزة قطعه "رينين" بقوله :

– فيم تفكرين ؟ فاجابته قائلة :

– إذا قدر علي يوما ان اقع فريسة لمؤامرة ما فلن يخالجني ادنى ريب في أنك ستحميني بسلطانك القوي وتدفع عني كل سوء ، مهما قام في سبيلك من العراقيل والعقبات .. نعم إنه ليس هناك حد لإرادتك . فاجابها "رينين" في صوت خافت قائلا :

– بل ليس هناك حد لرغبتي في العمل على ما فيه رضاك .

- ٣ -
الجنون فنون

وقعت في باريس في فترة وجيزة سلسلة عجيبة من الجرائم الغامضة . كان من المحتمل ان تظل أبدا خافية .. لولا أن شاءت الظروف والأقدار القاسية أن يضع البرنس " رينين" أصبعه في هذه الجرائم . فيميط اللثام عنها بالمهارة التي عرفت عنه وفيما يلي التفاصيل :

- حدث في خلال ثمانية عشر شهرا ... إن اختفت من باريس وضواحيها خمس نساء تتراوح أعمارهن ، بين العشرين والثلاثين . وعرف عن أولئك النساء الخمس أنهن ينتمين إلى طبقات مختلفة ... وأنه لا يمكن أن تكون هناك صلة بينهن ... اللهم إلا فيما انتهت إليه مصائرهن ..

وأولى أولئك النسوة تدعى مدام (لادو) وهي زوجة طبيب معروف والثانية تدعى الآنسة (اردان) وهي ابنة أحد رجال المال والأعمال . والثالثة عاملة تشتغل في " كوربفوا" وتدعى الآنسة "كوفيرو" . والرابعة تدعى الآنسة " هونورين فرنيسيه" وتشتغل صانعة ملابس ، والخامسة فنانة تشتغل بالرسم والتصوير وتدعى مدام " جرولينجر" اختفت أولئك النسوة الخمس ولم يهتد البوليس إلى معرفة السبب الذي منعهن من العودة .

وقد حدث في كل من الحالات الخمس ، أن جثة المرأة المختفية كانت توجد في مكان ما في غرب "باريس" ... وكان اكتشاف الجثة يحدث دائما في اليوم الثامن بعد اختفاء صاحبتها .

وقد دل الفحص الطبي في جميع الحالات . على أن الوفاة حدثت بضربة مطرقة أصابت الجمجمة فهشمتها . وعلى أن الضحية كانت

دائما تجوع حتى يدركها الهزال الشديد ثم تضرب وهي نائمة بالمطرقة فتموت في الحال ..

وكان رجال البوليس يجدون دائما بالقرب من كل جثة عجلات تدل على أن الجثة نقلت بواسطة إحدى المركبات .

وقد عجز رجال البوليس والمحققون عن إدراك كنه هذه الجرائم بيد انه كانت هناك حقيقة ثابتة لا تحتمل شكا أو جدلا ، وهي أن الجرائم الخمس ارتكبت جميعا بطريقة واحدة . وفي ظروف متشابهة ... وأن الفاعل في جميع الحالات هو نفس الشخص .

كذلك كان الدافع إلى الجريمة غامضا مجهولا .. والواقع .. أنه لم يعثر على شيء من الحلي أو النقود مع جميع النساء اللائي وجدت جثثهن .. ولكن ذلك لم يكن معناه حتما أن الجريمة ارتكبت بقصد السرقة ... إذ يحتمل أن يكونَ بعض قطاع الطرق وعابري السبيل قد عثروا على الجثة ملقاة على جانب الطريق . فجردوها من الحلي .. وجردوا الثياب من النقود .

وتساءل المحققون ، ترى هل الباعث على ارتكاب هذه السلسلة المخيفة من جرائم القتل هو حب الانتقام ، أو أن هناك شخصا يطمع في الاستيلاء على ميراث ضخم فلم يجد إلى ذلك سبيلا غير إبادة من هم أحق منه بذلك الميراث ؟ !

صفوة القول إن هذه الجرائم ظلت محفوفة بأشد الغموض ، وهم المحققون بحفظها وتسجيلها ضد مجهول أو مجهولين .

لولا أن حدث فجاة حادث شحذ همتهم . ونشطهم مرة أخرى للبحث عن المجرمين . أما هذا الحادث الفجائي .. فهو أن أحد عمال تنظيف الشوارع عثر على دفتر صغير فحمله إلى أقرب مركز للبوليس كما هو متبع في مثل هذه الأحوال . وقد ظهر من فحص هذا الدفتر أن جميع صفحاته بيضاء خالية من الكتابة عدا صفحة واحدة . وجد بها أسماء

النسوة الخمس اللائي اختفين ثم وجدت جثثهن . وقد وضع أمام كل اسم رقم خاص هكذا : مدام " لادو" ١٣٢ - الآنسة " فرنيسيه" ١١٨ الخ .

ولم يكن ثمة في البداية ما يدعو إلى شدة الاهتمام بالأمر ... لأن جميع الناس كانوا قد قرءوا في الصحف أسماء الضحايا فليس غريبا إذن أن يكون هناك من أراد تتبع سلسلة هذه الجرائم الخفية ومعرفة عددها ولكن الأمر الذي لفت النظر ، هو وجود اسم سادس عقب أسماء الضحايا الخمس وهو اسم " الآنسة ويليامسن" وأمامه رقم ١١٤

وقد ظهر من التحريات التي قام بها رجال البوليس على أثر هذا الاكتشاف . أن هناك ممرضة إنجليزية تدعى " هربرتا ويليامسن" كانت تعمل في خدمة إحدى العائلات ثم تركت الخدمة منذ خمسة عشر يوما بقصد العودة إلى إنجلترا . وأن شقيقاتها في " لندن" انتظرنها بغير جدوى فلم تصل ، وثبت أنها لم تبرح " فرنسا" . واهتم رجال البوليس بالأمر. ونشطوا للبحث عن الممرضة المختفية ، وأخيرا عثر أحد المارة بجثتها في غابة " ميدون" وأثبت البحث الطبي أنها قتلت بضربة مطرقة هشمت جمجمتها تهشيما . ونقلت إلى الغابة في مركبة بنفس الطريقة التي نقلت بها سابقاتها .

ومن تحصيل الحاصل أن نصف شعور الفزع والذعر الذي ملأ قلوب الناس حين قرءوا قائمة الضحايا مسجلة بخط القاتل في دفتر خاص كما يسجل التاجر إيراداته ومصروفاته .

ومما ضاعف اهتمام الرأي العام بهذه الجرائم الفظيعة أن الخبراء الذين فحصوا الخط الذي كتبت به أسماء الضحايا في ذلك الدفتر قرروا بصفة قاطعة أنه خط " امرأة مثقفة شديدة الحساسية تميل إلى الفنون" .

وعلى أثر ذلك بدأت الصحف تنشر أنباء التحقيقات في هذه الحوادث تحت عنوان " جرائم المرأة ذات المطرقة " وأثار تقرير الخبراء اهتمام علماء النفس .

وكان بين الذين اهتموا بهذه الجرائم الغامضة مخبر صحفي شاب

... وفق بعد طول البحث والفحص والتفكير ،ومقارنة تواريخ اختفاء الضحايا إلى معرفة سر الأرقام المسجلة أمام اسم كل من الضحايا .

وكان كل رقم يدل على عدد الأيام التي انقضت بين كل جريمة وأخرى أي أن القاتلة كانت تسجل سلفا الموعد الذي قررت فيه ارتكاب جريمتها التالية بدليل أنها سجلت أمام اسم المربية الإنجليزية رقم ١١٤ وقد اذاع الصحفي الشاب هذا الاكتشاف البارع وأثبتت مقارنة تواريخ الجرائم صحته ودقته ولما كانت المربية الإنجليزية قد اختفت في يوم ٢٦ يونيو . فقد كان من المرجح أن ترتكب القاتلة جريمتها السابعة بعد ١١٤ يوما ، أي في يوم ١٨ اكتوبر . وقد حار المهتمون بتحقيق هذه الجرائم في تعليل اختلاف المدة بين كل جريمة وأخرى ،. ولكنهم أولوا هذا الاختلاف بأن القاتلة ربما كانت تصدر في أعمالها عن شهوة إلى سفك الدماء تتملكها في فترات تستطيع هي وحدها أن تحددها وتكيفها:

وكانت النتيجة أن رجال البوليس وقراء الصحف باتوا يرقبون يوم ١٨ أكتوبر بفارغ الصبر وأشارت بعض الصحف إلى أن هناك إجراءات اتخذت لمنع ارتكاب الجريمة السابعة التي قررت المراة ذات المطرقة ارتكابها في اليوم التالي ففي مساء يوم ١٧ أكتوبر تناول البرنس "رينين" وصاحبته "هورتنس" طعام العشاء في الشقة الانيقة التي استاجرتها "هورتنس" بالقرب من حديقة "مونسو " وكان من الطبيعي بعد الطعام أن يدور الحديث بينهما حول الجريمة المنتظرة فقال "رينين" ضاحكا : كوني على حذر يا "هورتنس" . وإذا قابلتك المراة ذات المطرقة فتجنبي طريقها فسالته "هورتنس" : وإذا اختطفتني هذه السيدة الطيبة القلب فماذا يكون ؟

فاجاب "رينين" وهو لايزال يضحك : إذا فعلت فإنها تهيئ لك اظرف فرصة لتذوق الذ أنواع المغامرات

* * *

واتفق الاثنان على اللقاء في الساعة التاسعة من مساء اليوم التالي

لشهود التمثيل في مسرح "الجيمناز" وقد قضى "رينين" بعد ظهر اليوم التالي في قراءة الصحف بدقة . ولكنه لم يعثر بين أنبائها على حادث اختطاف جديد .

وحوالي الساعة التاسعة قصد "رينين" إلى الموعد المتفق عليه مع "هورتنس" فلم يجد صاحبته فانتظرها فلم تحضر فاتصل بها تليفونيا في دارها فاجابته وصيفتها بانها لم تعد .

وهنا استولى الذعر على "رينين" لأنه كان يعلم عن "هورتنس" حرصها على مواعيدها ، فقصد لتوه إلى دارها ، هنالك قالت له الوصيفة إن "هورتنس" غادرت المنزل في الساعة الثانية وبيدها رسالة قالت إنها ستضعها بيدها في صندوق الخطابات ، ولكنها لم تعد بعد ذلك .

سألها "رينين" : ولمن كتبت هذه الرسالة ؟

– إنني قرأت عليها اسمك وعنوانك يا سيدي

* * *

انتظر "رينين" صاحبته حتى انتصف الليل . وعندئذ يئس من عودتها فقصد إلى دارها وقال للوصيفة :

– لاتذكري لأحد أن سيدتك اختفت ، وإذا سئلت عنها فقولي إنها ذهبت إلى الريف عند عمها ، وإنك ستلحقين بها ولم يبق لدى "رينين" شك في وجود صلة بين اختفاء "هورتنس" وتاريخ ١٨ اكتوبر المحدد لارتكاب الجريمة السابعة .

قال يحدث نفسه : تفاصيل الجرائم السابقة تدل على أن القتل بضربة المطرقة كان يحدث دائما بعد أسبوع من الاختطاف ، فأمامي إذن ستة ايام على الأقل للبحث عن "هورتنس" والعثور عليها ، وإذا تركنا يوما للطوارئ غير المنتظرة ، كانت المهلة التي لدي لاتتجاوز خمسة أيام ، اي أن "هورتنس" يجب أن تكون حرة طليقة قبل الساعة التاسعة من مساء يوم الخميس المقبل ..

وقد سجل هذا التاريخ بحروف ضخمة على ورقة أمامه وشرع

يعمل.

دخل غرفته ، واوصد بابها بعد أن أمر الخادم بالايزعجه مهما كانت الظروف والا يدق الباب إلا إذا حان موعد تناول الطعام . وقضى البرنس "رينين" بقية الليل وهو يفكر ويعصر ذهنه ، ويبحث عن الطريقة التي يستطيع الاهتداء بها إلى مقر "هورتنس" أو معرفة المزيد من أمر تلك المرأة السفاكة التي يصفونها بذات المطرقة .

* * *

ولم يبرح "رينين" غرفته طيلة الأيام الثلاثة التالية .. ووقف كل اهتمامه على قراءة الصحف التي صدرت منذ ارتكبت الجريمة الأولى . وانقضت هذه الأيام دون أن يصل "رينين" إلى نتيجة ، ودون أن يقف على اثر أو حقيقة يتخذها نبراساً في ذلك الظلام الذ ي يحيطه .

وعلى الرغم من ثقته بنفسه ، فإن الخوف كان يقبض قلبه ، وكانت تمر بجسده قشعريرة قوية كلما فكر في أن "هورتنس" قد تنتهي إلى مثل ما انتهت إليه سابقاتها .

كان هذا الخاطر يعذبه ايما عذاب .. ذكر انه الف عشرة هذه الصبية، وأصبح يشعر كأنها جزء من كيانه لاغناء له عنه . كانت تلك المحنة محكا لشعوره حيال "هورتنس" ولم يكن قبلا يتصور انه يعطف على هذه الصبية ويحبها إلى هذا الحد .

على أنه لم يقطع الأمل من إنقاذها ، فاقبل على الصحف يعيد قراءتها وعلى الجرائم يستعرضها ويتخيلها . وفي مساء ذلك اليوم، تناول "رينين" قائمة الضحايا وقرأ الأسماء .. وانتعشت آماله لأول مرة منذ اختفاء "هورتنس" وتبلج له شعاع رتب على ضوئه الخطة التي يستطيع العمل بها . فجلس إلى مكتبه ووضع صيغة إعلان بعث به مع سائق سيارته "كليمان" إلى جميع الصحف الكبرى . ثم انفذ "كليمان في مهمة أخرى ، إذ أمره بالذهاب إلى "كوربفوا" حيث كانت تعمل الآنسة "كوفيرو" ، وهي الضحيةالثانية من ضحايا السيدة ذات المطرقة .

لم يبرح "رينين" غرفته يوم الثلاثاء ، ولكنه تلقى في ذلك اليوم رسائل عدة ردا على الإعلان الذي أذاعه في الصحف . ثم تلقى ثلاث برقيات ، والظاهر أن هذه الرسائل والبرقيات لم تحرك اهتمامه . وحول الساعة الثالثة مساء حمل إليه البريد رسالة عليها خاتم مكتب بريد "تروكاديرو" فقلب هذه الرسالة بين يديه مراراً ، وفحص الخط الذي كتبت به . وراح يفتش عن شيء .. وأخيرا قال لنفسه : اظن أن في الإمكان الاتجاه في هذا السبيل .

وعمد إلى "دليل باريس" فاخذ يتصفحه ، ثم وضع أصبعه اخيراً أمام اسم "مسيو فانو من حكام المستعمرات ، رقم ٤٧ شارع كليبر " .

وارتدى ثيابه بسرعة ووثب إلى سيارته ، وأمر السائق بقوله :

- إلى شارع كليبر رقم ٤٧ يا "كليمان" .

وطلب "رينين" مقابلة مسيو "فانو" فادخله الخادم إلى غرفة استقبال مؤثثة بذوق سليم ، وما هي إلا لحظة حتى اقبل عليه مسيو "فانو" وهو رجل طويل القامة في نحو الأربعين من عمره قد لفحت شمس المستعمرات وجهه ..

فبادره "رينين" بقوله : سيدي .. إنني جئتك الآن لانني قرات في إحدى صحف العام الماضى انك كنت تعرف إحدى ضحايا السيدة ذات المطرقة ، وأعني بهذه الضحية الانسة "هونورين فرنيسيه" فاجابه مسيو "فالو" : هذا صحيح إننا عرفنا هذه الفتاة التعسة لان زوجتي استخدمتها في صنع بعض الثياب .

- سيدي . إن امرأة من صديقاتي قد اختفت كما اختفت من قبل أولئك الضحايا الست .. فهتف مسيو "فانو" قائلا : أحقا تقول!؟ ولكني كنت أتتبع الصحف بعناية شديدة وانا واثق من انها لم تنشر نبا اختفاء أحد في ١٨ أكتوبر وهو اليوم الذي كان ينتظر أن تختفي فيه الضحية الجديدة للمراة ذات المطرقة ..

- بل لقد اختفت في ذلك اليوم سيدة في مقتبل العمر تدعى مدام "دانيل" ..

- واليوم ٢٤ اكتوبر - نعم .. ومعنى ذلك ان الجريمة سترتكب بعد غد .

هذا مخيف .. يجب منع ارتكاب هذه الجريمة مهما كانت الظروف.

- ربما استطعت منع هذه الجريمة المخيفة بمساعدتك يا سيدي.

- هل أبلغت الأمر إلى رجال البوليس ؟ - لا يا سيدي لأن الحادث محوط بالغموض ولا أرى فيه منفذا أو ضوءا يستعين به رجال البوليس . وقد سبق أن ارتكبت ست جرائم مماثلة لم يهتد البوليس إلى إماطة اللثام عن إحداها ، وليس هناك ما يدعو إلى الاعتقاد بان حظ رجال البوليس سيكون هذه المرة أفضل مما كان في المرات السابقة.

نعم ياسيدي . إننا امام عدو على جانب عظيم من المهارة والحنكة يعرف كيف يرتكب جرائمه دون أن يترك اي اثر يدل عليه . - وماذا فعلت إذن ؟

- إنني قضيت أربعة ايام في تفكير مستمر . فتامل مسيو "فانو" محدثه عن كثب ثم قال له في تهكم : وماذا كانت نتيجة هذا التفكير الطويل ؟

فاجابه "رينين" دون أن يعبا بتهكمه : كانت النتيجة انني استطعت أن الم بمناحي هذه الجرائم إلماما لم يتح لأحد قبلي ، وأن أرد الاشياء إلى أصولها ، وأعرف الطائفة التي ينتمي إليها الشخص الذي يرتكب جرائم كهذه ، فهي جرائم لايمكن أن يفيد منها مرتكبوها .

- وإلى أي طائفة رددت المراة ذات المطرقة ؟

- إنني رددتها إلى طائفة المجانين يا سيدي .

فدهش مسيو "فانو" وهتف : إلى طائفة المجانين !؟ ياله من راي عجيب !؟

- إنني أعتقد الآن ياسيدي أن المراة ذات المطرقة مجنونة .

- إذا كانت مجنونة كما تقول ، فهي بغير شك محجوزة في أحد المستشفيات او المصحات .

ومن ادرانا انها محجوزة في مكان ما ؟ ومن ادرانا انها ليست معدودة ضمن انصاف المجانين الذين تفترض فيهم الدعة فيعفون من الرقابة الشديدة وتتاح لهم بذلك فرصة إشباع غرائزهم وميولهم التي قد تكون لها في بعض الأحيان صبغة وحشية .

إن جرائم المراة ذات المطرقة إذا دلت على شيء فإنما تدل على الأناة والإصرار والحمق . وهذه الصفات جميعها ، ولاسيما صفة الإصرار والتكرار هي من اهم ما يمتاز به المجانين .

إن اكثر المجانين ، أو كلهم تخالجهم دائما فكرة ثابتة يصدرون عنها في كل ما يفعلون ، وهذه الفكرة الثابتة وما يترتب عليها من إصرار هي من أهم أركان الجنون .

إن إجراءات هذه المراة المجنونة متشابهة في جميع جرائمها . فهي تجتذب إليها ضحاياها بطريقة مازلنا نجهلها . ثم تشد وثاقهن بطريقة معينة . وتقتلهن بعد ثمانية أيام بواسطة مطرقة تهشم بها جماجمهن .. أما المجرم العادي .. فتتغير إجراءاته ووسائله تبعا للظروف . وهولذلك عرضة للوقوع في خطأ قد يؤدي إلى اقتناصه . بخلاف هذه المراة المجنونة .. فإن يدها لاترتجف وقد حذقت صناعتها فبات يتعذر تورطها في خطأ ينم عليها .

ومتى سلمنا جدلا بأن هذه المراة مجنونة .. وانها ترتكب فظاعاتها بطريقة ميكانيكية منتظمة كما تدق الساعة دقاتها في المواقيت المقررة، متى سلمنا جدلا بذلك ، هان علينا فهم الغرض من هذه الجرائم .. أو بمعني اخر حق علينا أن نعتقد بان هذه الجرائم لم ترتكب لغرض معين .

فقال مسيو "فانو" : الواقع ان هذا التعليل معقول ، ولكن إذا سلمنا بصحته ، فكيف نبرر طريقتها في اختيار ضحاياها ؟ ولماذا تختار ذبيحة لها هذه المراة دون تلك ؟

- إنك تلقي علي يا سيدي سؤالا القيته على نفسي مرارا طيلة هذه الأيام الأخيرة .

نعم .. لماذا اختارت هذه المجنونة "هورتنس" من دون الملايين من النساء !

ولماذا وقع اختيارها على الآنسة "فرنيسيه" .. والآنسة و "يلياسن" وما الصفة المعينة التي وضعتها هذه المجنونة نصب عينيها وتوفرت في جميع ضحاياها ؟! - هل وجدت تعليلا لذلك ؟

- نعم يا سيدي إنني وجدت التعليل من أول لحظة بمجرد إلقاء نظرة سطحية على قائمة أسماء الضحايا وهذا التعليل قائم على ذات النظرية الأساسية وأعني نظرية الإصرار والفكرة الثابتة عند المجانين إن نظرة واحدة إلى أسماء الضحايا تدلك ياسيدي على أن جميع هذه الأسماء تبدأ بحرف الهاء "هـ" فإحدى الضحايا تدعى "هونورين" والثانية تدعي "هيلين" والثالثة تدعي "هرملين" والرابعة تدعي "هليار" والخامسة تدعى "هلدجارت" والسادسة تدعى "هربرتا والسابعة تدعى "هورتنس" فحرف الهاء هو الحرف الذي يلفت نظر هذه المجنونة الأثيمة .. ولكن ماذا بك ياسيدي ؟ يخيل إلي انك تتالم ؟ والواقع أن وجه مسيو "فانو" امتقع فجاة وتجمعت حبات العرق على جبينه . غمغم قائلا : كلا ياسيدي . ليس بي من شيء . كل ما في الأمر أن قصة هذه الجرائم ازعجتني وقد كنت أعرف إحدى الضحايا ولذلك .. وأرتج عليه القول فصمت قليلا ثم استطرد :

- لنسلم جدلا بصحة نظريتك فماذا فعلت بعد ذلك ؟

- نشرت اليوم بجميع الصحف الكبرى إعلانا هذا نصه "طاهية" بارعة تطلب عملا العنوان "هرمين بشارع هوسمان " وقد تعمدت أن يبدأ الاسم بحرف "الهاء" وطلبت إلى الصحف أن تنشر اسم "هرمين" بحروف كبيرة تلفت النظر .

وهنا سال مسيو "فانو" في قلق : وهل لفت الإعلان نظر المراة .. ذات المطرقة ؟

- لقد كتب إلي بعض السيدات يطلبن إلي أن اعمل في خدمتهن كطاهية . ولكني لم اقم وزنا لغير رسالة واحدة جاءتني بعد ظهر

اليوم.
- ممن ؟! - خذ واقرأ يا سيدي .
وقدم إلى مسيو " فانو" الرسالة التي تسلمها أخيرا .. فاختطفها هذا اختطافا .. وألقي نظرة على التوقيع . وظهرت عليه أولا علامات الدهشة ولكنه مالبث أن انفجر ضاحكا .
سأله "رينين" : لماذا تضحك ياسيدي :
فهتف مسيو "فانو" وهو لايزال يقهقه : إنني أضحك لأن هذا التوقيع هو توقيع زوجتي ..
ومن المضحك أن يتطرق إلى ذهنك أن زوجتي هي المرأة ذات المطرقة.. ولاحظ "رينين" أن الرجل قد ظهرت عليه حقا علامات الارتياح الصحيح. فسأله :
- هل كنت تخشى أن يكون كاتب هذه الرسالة شخصا آخر ؟
- لا .. ولكن مادامت الرسالة من زوجتي فإن ..
وكف عن الكلام فجأة . ونظر إلى البرنس "رينين" بحدة ثم استطرد بلهجة جدية :
- عفوا ياسيدي .. قلت لي إنك تسلمت رسائل عدة ردا على الإعلان الذي نشرته في الصحف .. فلماذا خطر لك أن رد زوجتي من دون الردود جميعا يحتمل أن يرشدك إلى الحقيقة ؟
- لأنني قرأت في ذيل الخطاب اسم مدام "فانو" ومدام"فانو" . كانت تستخدم إحدى الضحايا كصانعة ثياب . وأعني بالضحية الآنسة "هونورين فرنيسيه" .
- من قال لك ذلك ؟؟
- إن الصحف أذاعت ذلك غداة العثور على جثة الفتاة التعسة.. - ألم تحضر إلى هذا المنزل بأي دافع آخر ؟
- كلا .. ولكن شعوري بأني وقعت على أثر مفيد .. هذا الشعور قد ازداد منذ وضعت قدمي في هذا المنزل ؟
- كيف ذلك ؟

- لاأعلم .. هذا شعور داخلي .. مقترن ببعض ملاحظات صغيرة .. فهل أستطيع مقابلة مدام "فانو" ؟ - زوجتى ؟ بالتأكيد. لقد كنت أقترح عليك هذا . لترى بعيني رأسك أن زوجتي ليست مجنونة ..

قال ذلك . وطلب إلى "رينين" أن يتبعه فاجتازا رواقا فسيحا . انتهى بهما إلى غرفة استقبال صغيرة .

وجدا بها سيدة شقراء جميلة تداعب أطفالها الثلاثة .

وقد نهضت السيدة حينما رأتهما . فقدم إليها زوجها البرنس "رينين" ثم سألها :

- هل أنت التي بعثت بهذه الرسالة يا "سوزان" ؟

ورأت الرسالة في يده فهتفت في الحال : تعني رسالتي إلى الآنسة "هرمين بشارع هوسمان" ؟

نعم . أنت تعلم أن طاهيتنا تركت الخدمة منذ يومين وأننا بحاجة إلى طاهية أخرى .

فقال "رينين" : عفوا يا سيدتي . ولكن كيف عرفت عنوان هذه الطاهية؟

فاحمر وجهها . ولكن زوجها قال بإصرار : أجيبي يا "سوزان". ممن عرفت هذا العنوان ؟

- فترددت الزوجة لحظة . ثم أجابت : من مربيتك العجوز ، إنها اتصلت بي تليفونيا ..

فقاطعها زوجها : مربيتي "فيكتورين" ؟

- نعم ..

وهنا قطع مسيو "فانو" الحديث فجأة وعاد بالبرنس "رينين" إلى الغرفة الأولى دون أن يسمح له بإلقاء أسئلة أخرى ..

قال له : هانتذا ترى ياسيدي أنه كان من الطبيعي جداً أن تطلب زوجتي طاهية أخرى غير تلك التي تركت خدمتها ومن المؤكد أن مربيتي "فكتورين" - وهي عجوز تقيم في ضواحي باريس وتنفق من مرتب صغير أوقفته عليها ما بقيت على قيد الحياة .. أقول من المؤكد

أن مربيتي "فكتورين" قرأت الإعلان الذي نشرته فاتصلت بزوجتي تليفونيا .

وصمت لحظة ثم عاد فاستطرد وهو يحاول الابتسام :

والان هل تعتقد أن زوجتي هي المرأة ذات المطرقة ؟

- لا

- إذن فلنعتبر الموضوع مفروغا منه ، لقد افسحت لك صدري منذ البداية ومن دواعي أسفي انني لا أستطيع الآن مساعدتك بشيء..

قال ذلك وأوما باصبعه نحو الباب كانه يود أن يعجل زائره بالانصراف وهم "رينين" بالخروج ولكن حانت منه نظرة فجائية إلى وجه مسيو "فانو" فالفاه منقلب السحنة شاحب اللون ... نظر إليه طويلا كما ينظر الإنسان إلى خصم له يوشك أن يتداعى وينهار واصبحت صدمة واحدة كافية لان تهدمه فامسك بساعده بقوة وقال له بصوت أجش :

يامسيو "فانو" إنك إذا لم تتكلم ، وإذا لم تفصح بما عندك ، فإن "هورتنس دانيل" تقتل شر قتلة

- ولكن ليس عندي ما أقوله ياسيدي ..

- بل عندك ما تقوله ياسيدي ، هناك أشياء تعرفها ولاتريد أن تقولها ، والدليل على ذلك ما أرى الآن من دلائل خذلانك وتداعيك ، إنني جئت لمجرد الاستعلام ، ولكني اشعر الآن بان في استطاعتك أن توفر علي الكثير من المتاعب والآلام ، فتكلم ياسيدي فالوقت ثمين ..

- وماذا يحملني على الصمت ياسيدي إذا كنت أعرف شيئا ؟

- ربما تصمت تجنباً للفضيحة ، إنني اشعر بان في حياتك ناحية تريد أن تسدل عليها ستارا فلم يجب مسيو "فانو" . اقترب منه "رينين" خطوة أخرى . وقال وهو يحدق إلى عينيه :

- تكلم ياسيدي وقل الصدق وثق بانه لن تحدث فضيحة . إنني يهمني كما يهمك أن يبقى كل شيء طي الكتمان . لانني أحب "هورتنس دانيل" . ولاأريد أن يتصل اسمها بهذه الجرائم المخيفة .

ـ انت مخطئ ياسيدي . إنك تتصور أشياء لاوجود لها .

وهنا ملك "رينين" شعور بان هذا الرجل إذا أصر على صمته الأحمق هلكت "هورتنس دانيل" .

استولى عليه غضب شديد فاطبق بيده على عنق "فانو" ودفعه دفعة قوية القته على الأرض و صاح بصوت كالرعد : كفى كذبا ، إن حياة امرأة في خطر ، فتكلم ، تكلم أو ..

* * *

وقد جردت هذه الهجمة الفجائية مسيو "فانو" من إرادته فغمغم:

ـ الحق معك . من الإنسانية والواجب أن أعترف لك بكل شيء مهما حدث بعد ذلك .

ـ لن يحدث شيء . أعدك بألا يحدث شيء ، بشرط ان ننقذ "هورتنس دانيل" فتكلم ، وتجنب الإسهاب ، فإن دقيقة واحدة قد تكلفها حياتها . تكلم وأسرع .

فجفف مسيو "فانو" العرق المتصبب من جبينه وقال في هدوء :

- إن "سوزان" .أعني السيدة التي رأيتها الآن وقلت لك إنها زوجتي هذه السيدة ليست زوجتي الشرعية أما الزوجة الشرعية التي لها دون غيرها كل الحق في أن تحمل اسمي وتنتمي إلي ، هذه الزوجة الشرعية قد اقترنت بها عندما كنت موظفا صغيرا في المستعمرات .

كانت امرأة غريبة الأطوار ضعيفة القوى العقلية شديدة الانفعال سريعة الحساسية .

وقد رزقت من هذه الزوجة بتوءمين . كانت تحبهما حب عبادة . وقد أثر وجود هذين التوءمين في حالتها النفسية والمعنوية والعقلية تأثيرا طيبا .

ولكن حدث ذات يوم أن كان التوءمان يلعبان أمام المنزل فمرت سيارة فصدمتهما معا صدمة قضت عليهما تحت سمعها وبصرها فجنت المسكينة في الحال وكان جنونها من ذلك النوع الصامت الهادئ الذي تحدثت عنه في التو واللحظة .

واتفق بعد ذلك انني نقلت إلى وظيفة في بلاد الجزائر فجئت بزوجتي إلى فرنسا ووضعتها في حراسة عجوز امينة تدعى "فكتورين" كانت قد توفرت على تربيتي منذ صغري .

وبعد عامين عرفت "سوزان" فعاشرتها معاشرة الأزواج ورزقت منها بهولاء الأطفال الثلاثة الذين رايتهم وجميع الناس يعتقدون ان "سوزان" هي زوجتي فهل اضحي بها ؟ وهل اضحي بحياتها وكرامتها واقضي على مركزها في الهيئة الاجتماعية بإذاعة الحقيقة وتلويث سمعتنا بالاعتراف بعلاقتنا بهذه المآسي الجنونية الدامية ؟ وصمت الرجل ففكر "رينين" لحظة ثم ساله : وما اسمها؟ أعني ما اسم زوجتك الشرعية ؟ - اسمها "هرمانس" .

- "هرمانس" : ارايت أن اسمها يبدا بحرف الهاء ؟

- هذا صحيح : لقد لاحظت ذلك عندما اوضحت انت وجهة نظرك ، وتذكرت في ذات الوقت انها مجنونة ، فرايت ان الأدلة قوية ولم يبق عندي شك في انها المراة ذات المطرقة ، وهذا هو سبب اضطرابي ، وانزعاجي .

ولكن بم تعلل ارتكابها هذه الجرائم المخيفة ؟؟ هل تعاني محنتها كثيرا ؟

- إنها عانت أشد الآلام فيما مضى . اما الآن فإنهالاتعاني كثيرا .

كانت تتراءى لها دائما جثتا التوءمين اللذين هلكا امام عينيها .. ولم تكن المأساة تبرح ذهنها ليلا او نهارا . ففقدت نعمة النوم . فتصور هذا !! إنها لم يغمض لها جفن قط منذ هلك طفلاها..

وهذا الأرق الدائم هو في اعتقادي الدافع لها على ارتكاب جميع هذه الجرائم .

- لست أفهم الصلة بين الارق والجريمة .

- انت لاتفهم .. لانك لست مجنونا .. ولان احدا لايعلم ما يدور بخلد المجانين .

- ولكن .. ما الصلة بين الارق والجريمة ؟

ففكر السيد "فانو" لحظة ثم قال :

- حسنا ساوضح لك هذه الصلة على قدر ما استطيع .

لقد حدث ذات يوم منذ عامين ان مربيتي "فكتورين" وجدتها نائمة لأول مرة منذ قتل التوءمان ولكنها كانت نائمة وبين يديها جثة كلب صغير خنقته باصابعها .

وقد تكرر هذا الحادث ثلاث مرات . فكانت "فكتورين" كلما جاءت بكلب لحراسة المنزل .. وجدته بعد يوم أو أيام مخنوقا بجانب زوجتي النائمة .. وقد فهمت من ذلك أن عملية قتل الحيوان تحدث في نفسها من الانفعالات ما يخدر أعصابها .. ويلقي بها في لجة النوم بعد الأرق الطويل فعمدت إلى الكلاب تقتلها الواحد تلو الآخر . ولكن لم يخطر لنا ببال في اي وقت يزين لها جنونها قتل الآدميين كما كانت تقتل الحيوانات .

- وهل كان نومها طويلا ؟

- نعم . كانت تنعم بالنوم ليالي عدة .. وفي اعتقادي ان الأرقام التي وجدتها مسجلة أمام أسماء الضحايا تدل على عدد الأيام التي صور لها عقلها السقيم انها ستهنا فيها بالنوم العميق عقب ارتكاب الجريمة . فهتف "رينين" : هذا مخيف .. هذا مخيف .. هلم بنا إليها .

واندفع الاثنان نحو الباب .. ولكنهما ما كادا يصلان إليه . حتى دق جرس التليفون

تردد مسيو "فانو" لحظة ..

- قال : إنها "فكتورين" تتكلم من هناك ..

- "فكتورين" ؟؟ مربيتك ؟؟

- نعم .. إنها تتصل بي تليفونيا في مثل هذه الساعة من كل يوم كي تنقل إلي انباء زوجتي . وتناول إحدى السماعتين .. وقدم السماعة الثانية إلى البرنس "رينين" . الذي راح يهمس في اذنه بالأسئلة التي يتعين عليه أن يلقيها على المربية وفيما يلي نص الحديث : أهذه انت يا "فكتورين" ؟؟ كيف حالها ؟!

– إنها على مايرام ياسيدي . – هل تنام نوما هادئا ..

– بل لقد كان نومها مضطربا في الأيام الأخيرة .. واستولى عليها الأرق ليلة أمس فلم يغمض لها جفن .. ولاحظت عليها في صباح اليوم التجهم وعدم الاستقرار .

– وماذا تفعل الآن ؟– إنها في غرفتها .

– اذهبي إليها يا "فكتورين" . ولازميها ولاتدعيها تغيب عن بصرك .

– هذا مستحيل ياسيدي .. لأنها أغلقت الباب من الداخل .

– كلا يا "فيكتورين" .. لازميها . حطمي باب غرفتها وادخلي .. ساحضر حالا . ألو .. ألو .. يالله .. لقدقطعت المواصلة التليفونية . علم بنا .

ومرق الرجلان من الباب بسرعة البرق .. وهبطا السلم . حتى إذا نفذا إلى الخارج دفع "رينين" زميله إلى داخل السيارة : اين تقيم زوجتك !؟ – في "فيلا افراي" .

فصاح "رينين" بسائق سيارته : أسرع يا "كليمان" ... إلى "فيلا افراي" بسرعة البرق .

ولما انطلقت بهما السيارة تنهب الأرض نهبا .. التفت "رينين" إلى السيد "فانو" وقال له :

– إنك حملت نفسك مسؤولية جسيمة ياسيدي .. لماذا تترك مخلوقة مفترسة كهذه المراة بعيدة عن الرقابة ؟ فلم يجب السيد "فانو" .

كان ياسه . وامتقاع وجهه .. وارتجاف يديه .. دليلا على ندمه واسفه . غمغم بعد لحظة : إنها خدعتني ياسيدي .. كنت أراها دائما هادئة وديعة .. وبعد .. فإنها كانت ولاتزال تقيم في احد المستشفيات .

"رينين" : في أحد المستشفيات !! كيف استطاعت إذن أن..

– إن المستشفي الذي تقيم فيه يتكون من عدة منازل صغيرة بينها حدائق مترامية . والمنزل الصغير الذي تقيم به يقع في احد أركان الحديقة . وهو يتكون من الغرفة التي تقيم بها " فكتورين" . وغرفة زوجتي "هرمانس" . وهناك بعد ذلك غرفتان اخريان منعزلتان تطل

نوافذ إحداهما على الحقول . وفي اعتقادي انها جعلت من الغرفة المطلة على الحقول سجنا لضحاياها .

– والمركبة ؟ المركبة التي اعتادت أن تنقل فيها جثث قتلاها ؟ – إن اصطبل المستشفى حيث توجد المركبات والخيول قريب من منزل زوجتي . ولاشك أن "هرمانس" اعتادت أن تلقي بالجثث من النافذة . ثم تشد أحد الجياد إلى إحدى المركبات . وتطلق في مهمتها الليلية المخيفة .

– والمربية . "فكتورين" ..؟

– إنها امرأة متقدمة في السن ثقيلة السمع – ولكنها ترى سيدتها نهارا وهي تروح وتجيء وتعمل .. ألا تعتقد في وجود تواطؤ بين المرأتين ؟

– كلا .. كلا .. أنا واثق بأن "فكتورين" قد خدعت مثلي بمظاهر هدوئها ودعتها .

– ولكن لاتنس أن "فكتورين" هي التي اتصلت بزوجتك تليفونيا بصدد الإعلان الذي نشرته في الصحف ..

– إن "هرمانس" تقرأ الصحف .. ولا أدري مبلغ فهمها لما تقرأ .. ولكن من المؤكد أن الإعلان الذي نشرته لفت نظرها .. لأنه يتضمن اسما يبدأ بحرف "الهاء" .. ولابد كذلك أنها علمت من "فكتورين" أننا نبحث عن طاهية . فطلبت إليها أن تتصل بنا تليفونيا .

فهز "رينين" رأسه وقال ببطء : هذا كلام معقول .. لقد أرادت التعسة أن تمهد لفريسة جديدة تفتك بها بعد "هورتنس" .. ولكن ترى ما الطريقة الشيطانية التي اعتادت أن تجتذب بها النساء إلى حتفهن ؟! وساد الصمت بين الرجلين بعد ذلك . وكان "رينين" في أشد حالات القلق خوفا من أن يصل بعد فوات الوقت .

راح يصيح بسائق السيارة : أسرع يا "كليمان" .. أسرع .

ووصلت السيارة أخيرا إلى "فيلا افراي" وجعل السيد "فانو" يرشد السائق إلى طريق المستشفى ..

واخيرا وقفت السيارة امام طائفة من المنازل متفرقة وسط حديقة مترامية الأطراف . وهناك أشار السيد "فانو" إلى نافذة تطل على الحقول . وقال بصوت أجش : ها هي ذي نافذة إحدى الغرفتين المنعزلتين وكان ارتفاع النافذة عن الأرض لايزيد على متر واحد ..

قال "رينين" : ولكني أرى بالنافذة قضبانا حديدية .. فكيف تستطيع زوجتك الخروج والدخول من بين القضبان . - لابد أن في استطاعتها رفع قضيبين أو أكثر .

فاقترب "رينين" من النافذة .. وفحصها وقال " هذا صحيح . يوجد قضيبان متحركان يمكن إزالتهما بسهولة . قال ذلك . وراح يعالج القضيبين حتى أزالهما . ثم وثب إلى النافذة . ومنها إلى الغرفة . وتبعه السيد "فانو" عن كثب ..

وما كاد الرجلان يستقران بالغرفة حتى وقعت أبصارهما في أحد اركانها على امرأتين إحداهما ممددة على وسادة كبيرة والأخرى جالسة بالقرب منها . هتف السيد "فانو" ها هما .

ورأى "رينين" صاحبته ممدة على الوسادة . وقد شد وثاقها . ورأى بيد المراة المجنونة تلك المطرقة المخيفة التي جعلت منها سلاحها في ارتكاب جرائمها . ورأتهما المجنونة فنهضت واقفة وراحت تحملق إليهما في فزع . فمد "رينين" يده في جيبه وأخرج مسدسه بسرعة البرق ..

هتف السيد "فانو" متوسلا : بالله لاتطلق عليها الرصاص .

فاجابه السيد "رينين" : إنني لا أتردد لحظة متى قضت الضرورة بإطلاق النار .

وما كاد يفرغ من كلامه .. حتى رأى المجنونة تنظر إليه في فزع .. وتهم بالانقضاض عليه .

أطلق عليها النار في غير تردد .. قاصدا إرهابها لاقتلها . فمرت

الرصاصة بالقرب منها .. ولكنها لم تصبها ..

وانتهز فرصة الذعر الذي استولى عليها فهجم عليها . ولكنها أرسلت صرخة مدوية .. وفتحت الباب واندفعت منه إلى الخارج .. فتبعها "رينين" . والمسدس لايزال في يده استعدادا للطوارئ وشعرت به المجنونة فراحت ترسل صيحات ثاقبة اشفق "رينين" أن تحدث ضجة في المستشفى وتؤدي إلى الفضيحة التي يريد الجميع اجتنابها مهما كلفهم ذلك .. فانقض على المجنونة وحملها بين ساعديه كما يحمل طفلا صغيرا . ووضع يده على فمها ليمنعها من الصراخ . وعاد بها إلى حيث كان زوجها ..

بيد انها تمكنت من أصابع يده فعضتها عضة جعلته يصرخ متألما..

افلتها على الرغم منه .. فاندفعت نحو الخارج . وطاشت البقية من عقلها بتاثير الخوف والهلع .. وظلت تتلفت خلفها وهي تعدو خوفا من مطارديها . وكانت النتيجة أن ارتطم رأسها باحد الأبواب ارتطاما شديدا .. فسقطت على الأرض لاتعي ..

ولم يعبا بها "رينين" وصاحبه : بل كان كل اهتمامهما موجها إلى "هورتنس" . فالصق "رينين" اذنه فوق صدرها . واستمع إلى دقات قلبها . وتهلل وجهه بشرا حين وجدها على قيد الحياة .

كانت في حالة إغماء شديد . فاسرع إلى وثاقها فحله : وراح يفرك صدغيها بسرعة . حتى افاقت وفتحت عينيها .

اجالت الطرف حولها ببطء . واستقرت عيناها على وجه "رينين" . ومرت على شفتيها ابتسامة طفيفة . غمغمت تقول : كنت انتظرك بفروغ صبر . ولم أقطع الأمل في النجاة واغمي عليها مرة أخرى حملها "رينين" بين ساعديه . وهم بالخروج . ومر في طريقه بالسيد "فانو" والعجوز "فكتورين" كانا "جاثيين" بالقرب من المجنونة الأثيمة . ثم ما لبث السيد "فانو" أن نهض واقفا . وخلع قبعته .

ولاحظ "رينين" ذلك . فساله بصوت خافت : ماذا بها ؟

فاجاب "فانو" في شيء من الذعر والأسى :

- إنها ماتت . كانت الصدمة شديدة ولابد انها احدثت نزيفا في المخ.

* * *

وقد استردت "هورتنس" صحتها بسرعة وانتهز البرنس "رينين" فرصة زيارته لها في اليوم التالي . وسالها في لباقة عن الظروف التي جمعت بينها وبين تلك المجنونة فاجابت :

- الامر غاية في السهولة . فانت تعلم ان زوجي مصاب بضعف في قواه العقلية ، وأنه يعالج في مستشفى "فيلا افراي" وأنا أزوره خلسة من وقت لآخر .وفي اليوم الذي تواعدنا فيه على اللقاء .. خطر لي أن ازوره .. فكتبت إليك رسالة أعتذر فيها عن الحضور ، ولكني نسيت هذه الرسالة في حقيبتي .. ولم أبعث بها إليك .

وقد قصدت إلى "فيلا افراي" وكنت قد قابلت هذه المراة التعسة قبل ذلك وتحدثت إليها فلما رأيتها في ذلك اليوم اشارت إلي من نافذتها وطلبت إلي ان ازورها ، ولكني لم أكد أدخل .. حتى انقضت علي . وكان هجومها فجائيا . فلم أتمكن من الدفاع عن نفسي .. بل ولم أتمكن من الصياح والاستغاثة . وقد شدت وثاقي والقت بي في غرفة خالية . ومنعت عني الطعام ...

ولكنها كانت فيما عدا ذلك تعاملني بالحسنى .

ثم ابتسمت وضغطت على يد "رينين" . وغمغمت : ولكني كنت واثقة بانك ستخف إلى نجدتي .

-٤-

البرنس .. "أرسين لوبين"

غادر مفتش البوليس "بيشو" قطار "دنجون" عند محطة "جيريه" واستاجر في الحال مركبة قصد بها إلى مدينة "مازويخ" وهي مدينة صغيرة ، ولكنها تعتبر من أقدم المدن في وسط فرنسا . وقد وقفت به المركبة امام قصر "اليسكار" فخف الخدم لاستقباله وما هي إلا لحظة حتى اقبل عليه السيد "جورج كازيفون" صاحب القصر وهو رجل متوسط القامة في نحو الأربعين من عمره .. مشهور بانه من أغنى أهل الناحية . وأن له صلة وثيقة بكثير من الساسة .. والعظماء .

* * *

كان قصر "اليسكار" العتيق يتالف من بناءين مستقلين .. يفصل بينهما جدار قديم متهدم يبلغ ارتفاعه حوالي ١٨٠ سنتيمترا .

وكان لأضخم البناءين برج عظيم وشرفة واسعة بديعة تطل على الحديقة المترامية التي تتخلل ابنية القصر وتحيط به .. وتشرف على القناة العميقة التي تقسم هذه الحديقة إلى شطرين .. وقد طلب المفتش "بيشو" إلى "جورج كازيفون" أن يذهب به في الحال إلى المكان الذي لقي فيه "جان داليسكار" حتفه .. فقصد به السيد "كازيفون" إلى القناة . وأشار إلى الصخرة التي وجدت عندها جثة الكونت الشاب وقال إن الجثة وجدت في الساعة السادسة صباحا منذ ستة أيام ممددة فوق الصخرة وليس بها من إصابة غير جرح في الرأس من تاثير السقوط على تلك الصخرة .. ثم أشار إلى غصن محطم مدلى من شجرة مرتفعة باسقة .. وقال إن ذلك يفسر الفاجعة ويوضح ما خفي منها فالكونت الشاب تسلق الشجرة بغير شك .. ولكن الغصن لم يحتمل ثقله فتداعى .. وسقط الفتى في الماء .. ولكن رأسه ارتطم في

تلك الصخرة فحدثت الوفاة .

سأله "بيشو" : ولكن ماذا كان الكونت الشاب يفعل فوق تلك الشجرة؟؟

– أعتقد أنه أراد أن يلقي على الجناح الثاني من القصر نظرة عامة شاملة . لأن ذلك الجناح هو مهد أسرة "داليسكار" .

وصمت السيد "كازيفون" لحظة ثم عاد فاستطرد :

– ولذلك ياسيدي المفتش لست بحاجة إلى أن أقول لك إنني الذي طلبت إلى إدارة الأمن العام أن تبعث إلينا بأحد رجالها لتحقيق هذا الحادث بصفة قاطعة .. فالحادث وقع بالقضاء والقدر كما تدل على ذلك جميع الدلائل .. ولكن ألسنة السوء كثيرة . وقد راجت في الأيام الأخيرة إشاعات سيئة مزعجة . فأردت أن أضع حداً لها . بوضع الأمر بين أيدي رجال البوليس . لذلك أرجوك ياسيدي أن تقوم بمهمة التحقيق على الوجه الأكمل . وأن تستجوب بصفة خاصة الآنسة "اليزابيث "داليسكار" شقيقة الشاب الذي لقي مصرعه فوق هذه الصخرة .

* * *

ولم يضيع "بيشو" الوقت هباء . فدار بالقصر مرة أخرى وتفقد غرفه ثم قصد إلى المدينة حيث استجوب من رأى ضرورة استجوابهم . وزار القس . وتناول طعام الغداء في المشرب . وعاد إلى القصر في الساعة الثانية .. وقصد إلى الجناح الذي تقيم به الآنسة "اليزابيث داليسكار" . وطلب أن تسمح بمقابلته ..

وذهبت به إحدى الخادمات إلى غرفة الآنسة "داليسكار" .. فوجدها هناك تتحدث مع شاب طويل القامة .. نحيفها ..

لم يلق باله أول الأمر إلى ذلك الشاب بل قصد توا إلى الفتاة وقدم إليها نفسه . وقال لها باختصار إنه مكلف بإجراء تحقيق في حادث وفاة الكونت "جان داليسكار" . ولما فرغ "بيشو" من كلامه..

اجابته الفتاة :

- إنني على استعداد للإجابة عن أسئلتك يا سيدي .. ولكن دعني قبل كل شيء اقدم إليك هذا الصديق .. فهو مثلك على استعداد للتغلغل في هذه القضية حتى أعماقها ..

وقدمت كلا من الرجلين إلى الآخر بقولها :

- البرنس "سيرج رينين". السيد .. السيد .. ما اسمك يا سيدي؟!

آه .. السيد "بيشو" .. مفتش البوليس ..

فرفع "بيشو" عينيه إلى وجه البرنس "رينين" .. وبسط إليه في ذات الوقت يده ..

ولكن لم يكد يستقر بصره على وجه البرنس ويرى الابتسامة الطفيفة التي تلاعبت على أركان شفتيه .. حتى سقطت يده إلى جنبه وراح يحدق إلى "رينين" بحدة ..

بيد أن هذا تقدم بسرعة ولباقة .. وتناول يد "بيشو" وهزها بشدة وهو يقول :

- إنني سعيد بمقابلتك يا سيد .. يا سيد "بيشو" ..

وفتح "بيشو" فمه ليتكلم .. وتحركت شفتاه ولكن لم يصدر منهما صوت .. ولاحظ في الحال أن "اليزابيث داليسكار" تنظر إليه كانما ادهشها جموده .. فغمغم قائلا :

- ألم .. ألم نتقابل في مكان آخر ياسيدي البرنس ؟؟

فأجاب "رينين" في أدب :

- لا أذكر انه كان لي شرف مقابلتك يا سيدي .. وأنا سعيد بهذه الفرصة التي أتاحت لي التعرف بأنشط مفتشي بوليس باريس .

قالت "اليزابيث" :

- لقد علمت صديقتي "هورتنس دانيل" بنبأ الفاجعة التي نزلت بنا فبعثت إلي بخطيبها البرنس "رينين" لتعزيتي ومعاونتي في محنتي ..

وهنا التفت "رينين" إلى بيشو" وقال له :

– إنك تحسن صنعا ياسيدي إذا بدأت التحقيق باستجواب الآنسة "دالسيكار" .. فإنها ذكرت لي أشياء أعتقد أنها جد خطيرة.

قالت الفتاة :

– فإنني في الحق كنت أوثر الصمت . ولكن إذا كان لابد من الكلام فإنني على استعداد لأن أتكلم .

– قولي له يا آنسة . في أية ساعة رأيت اخاك آخر مرة ؟!

– إنني رأيته آخر مرة في الساعة العاشرة مساء . اي بعد العشاء وكان سعيدا طروبا كعادته .

– هل خرج من القصر ليلا ؟!

– لا . بل خرج قبل الفجر بقليل . أي حول منتصف الساعة الرابعة صباحا . وقد سمعت خادمتنا العجوز وقع خطواته .

– هل كنت تعلمين أين ينوي الذهاب ؟

– قال لي في المساء إن في نيته الخروج من المقصورة . وصيد السمك من القناة . والواقع ان صيد السمك كان احب أنواع التسلية إليه .

– وإذن فانت لا تعلمين شيئا عما حدث في المدة بين منتصف الساعة الرابعة والوقت الذي اكتشفت فيه الجثة ؟

– كل ما أعلمه أنني سمعت طلقا ناريا في الساعة السادسة والربع.

– لقد قيل لي إن كثيرين سمعوا هذا الطلق الناري . ولكن من المحتمل أن يكون احد لصوص الصيد قد اطلق النار على أرنب بري من الأرانب التي تحفل بها هذه المنطقة .

– ذلك ما خطر لي .. ولكني مع ذلك شعرت بقلق شديد .. فنهضت من فراشي وارتديت ثيابي ..

– لاشك أن هذا الطلق الناري لم تكن له اية صلة بالحادث الذي وقع

لأخيك .. بدليل أن الكشف الطبي لم يثبت وجود أثر رصاصة بالجثة ..

فترددت الفتاة . ولاحظ "رينين" ترددها فقال لها :

– أجيبي . ارجوك أن تجيبي .

– مهما كان تقرير الطبيب الشرعي . فانا واثقة بان الصلة بين الرصاصة والحادث لاشك فيها .

– لماذا ؟

– لأنه لايمكن أن يكون للحادث أي تفسير آخر .

– القضاء والقدر .

– كلا .. إن الحادث لم يقع بالقضاء والقدر . فشقيقي "جان " كان بارعا في تسلق الأشجار ..

ثم إنه كان رغم حداثة سنه على جانب عظيم من الرزانة .. ولم يحدث قط انه عرض حياته للخطر بتسلق احد الأغصان الضعيفة..

– ولكن الغصن المحطم لايزال على حاله .

– ليس هناك ما يثبت أن الغصن تحطم تحت ثقله .

– إذن فانت ترين يا آنسة أن في الأمر جريمة ؟ !

– نعم ..

– قيل لي إنك تتهمين بعضهم ..

– نعم ..

فنظر "رينين" نحو "بيشو" بشيء من الخبث وقال :

– في هذه الحالة يتعين على المفتش "بيشو" أن يسالك عن الدليل الذي تقيمين عليه هذا الاتهام .

ففكرت الفتاة لحظة .. وبدا للرجلين ان هناك أشياء يؤلمها أن تذكرها.. بيد انها حزمت رأيها آخر الأمر وقالت :

– ساتكلم بصراحة يا سيدي .. ولكي يكون حديثي واضحا . يجب أن أعود إلى حادث وقع منذ عشرين سنة .

فقد حدث في ذلك العهد أن أضاع أبي كل ثروته .. بسبب جريمة تزوير واختلاس ارتكبها أحد مسجلي العقود . واضطر ابي في تلك الحالة أن يلجأ إلى أحد الأغنياء المعروفين في هذه المدينة فاقرضه هذا الغني مائتي ألف فرنك واشترط أن يصبح هذا القصر والأراضي المحيطة به ملكا له إذا لم يتم سداد المبلغ بعد خمسة أعوام .

– هل كان ذلك الثري والد مسيو "جورج كازيفون" ؟

– نعم .

– هل كان يهمه الاستيلاء على هذا القصر ؟

– نعم .. وقد حاول مراراً أن يبتاعه . فلما توفي والدي بالسكتة المخية بعد أربعة أعوام وأحد عشر شهرا من إبرام صفقة القرض. أخطر ذلك الغني عمنا والوصي علينا . بانه لم يبق امامنا غير شهر واحد لسداد المبلغ وإلا تعين علينا إخلاء القصر .ولم يكن والدي قد خلف مالا . فطردوني مع أخي "جان" من القصر وكان عمي يملك هذا البناء الصغير .. فاوانا عنده .ولكنه توفي بعد اشهر قلائل .. كما توفي على اثره والد السيد "جورج كازيفون" .

وكان "رينين" و "بيشو" قد أصغيا بانتباه إلى هذه القصة . فقال الأول :

– يخيل إلي أن السيد "بيشو" لايرى الصلة بين هذه القصة ، وحادث مصرع "جان داليسكار" نظرت "اليزابيث" إلى مفتش البوليس بمزيج من الدهشة والاحتقار . واستطردت :

– اقمت مع أخي "جان" في هذا البناء الصغير الذي أنشاه أسلافنا . وقد ألم "جان أن يفلت زمام القصر من أيدينا .. وكان ألمه يزداد كلما كبر وترعرع .

كان "جان" شديد الشغف بالعمل إلى جانب ولعه بالألعاب الرياضية . وكان ينتهز فرصة فراغه لفحص أوراق الأسرة ودفاترها ، ومخلفات

ابي واجدادي . وقد حدث انه عثر في أحد الكتب على ورقة كان ابي يسجل عليها حساباته في الاعوام الأخيرة .

وقد وجد برفقة هذه الورقة وثيقة من احد المصارف . تثبت ان ابي ادخر سرا في ذلك المصرف مبلغ مائتي الف فرنك .. فقصدت مع اخي إلى ذلك المصرف ، ولكن قيْل لنا هناك إن والدي سحب هذا المبلغ قبل أسبوع من وفاته .

– وهو بالضبط المبلغ الذي كان يتعين عليه أن يدفعه بعد أيام لسداد دينه .. وإنقاذ قصره وأملاكه .

– اعتقد ذلك .

– لماذا لم يدفع دينه إذن ؟

– لاأعلم .

– اتعتقدين أن والدك وضع هذا المبلغ في مخبأ ما ؟

– نعم .

– أين ؟

فقدمت الفتاة إلى "رينين" و "بيشو" دفترا صغيرا يتكون من عشرين صفحة قد سجلت عليها ارقام عديدة .. وأشارت إلى رسم في الصفحة الاخيرة من هذا الدفتر وقالت :

– الجواب عن هذا السؤال يجب أن يكون هنا .

وكان الرسم يمثل ثلاثة أرباع دائرة بداخلها نصف دائرة اصغر منها . وقد قسم نصف الدائرة بخطين وضع بينهما صليب .

سألها "رينين" :

– ما معنى هذا الرسم ؟!

– إننا قضينا زمنا طويلا في معالجة هذا السر . إلى أن لاحظ اخي "جان" أن الرسم يمثل القصر الكبير . وأن الخطين المتقاطعين يمثلان دهليزين من دهاليز القصر .

فقال "رينين" :

– أما علامة الصليب فتمثل البرج الذي أخفى به الكونت "داليسكار" الكبير مبلغ المائتي ألف فرنك استعدادا لدفعها لدائنه في اليوم المقرر . أليس كذلك ؟

– بلي .. .

ففكر "رينين" لحظة . وراح يفحص ذلك الرسم بعناية . ثم قال . هذا ممكن .. نعم .. من المحتمل أن يكون والدك قد أخفى المبلغ في هذا المكان .. ولكن الموت فاجاه قبل أن يتمكن من إخطار أحد بالمكان الذي أخفى فيه المبلغ .

ولكن إذا صح هذا .. فإنه كان يكفي أن تخطري السيد "جورج كازيفون" بالحقيقة .. وتطلبي إليه الترخيص لك بالصعود إلى برج قصره والبحث هناك عن أموال أبيك .

– ذلك ما فعلناه .. وعلى الرغم من أن العلاقات بيننا وبين السيد "كازيفون" كانت فاترة .. فإنه استقبلنا بلطف .

ـ ولكن كيف كان يمكن الصعود إلى البرج بعد إذ تهدم السلم المؤدي إليه ؟

قال لنا السيد "كازيفون"إن السلم انهار منذ مدة .. وإن إعادة بنائه تكلفنا كثيرا .

– هل أحبك السيد "كازيفون" . وطلب إليك أن تقترني به ؟

فاحمرت وجنتا الفتاة وأجابت :

– نعم . ولكني رفضت . فنقم علينا بسبب هذا الرفض . وساءت معاملته لنا . وحظر على أخي دخول أرضه وقصره والقيام بأية محاولة للوصول إلى البرج ..

بيد أن أخي لم يقطع الأمل كان في نيته الحصول على المبلغ مهما كلفه ذلك . لكي يبتاع بعض الأملاك التي فقدناها . ثم لكي يعد لي

بائنة "دوطة" تساعدني على الزواج .

وقد قام بمحاولات كثيرة للوصول إلى البرج رغما عن السيد "كازيفون" بيد أن فشله المتوالي لم يدخل اليأس على نفسه .

وقد فكر أخي في صنع سلم من الحبال يشد إلى حافة البرج بواسطة خطاف قوي . وأعد لهذا الغرض بالفعل قطعة من الحبل يربو طولها على الستين مترا .

فسألها البرنس "رينين" بقوله :

- هل تعتقدين بصفة نهائية أن أخاك قتل وهو يقوم بمحاولة جديدة للوصول إلى البرج حيث يعتقد بوجود مال أبيه ؟

- نعم . والدليل أننا لم نعثر على أثر لقطعة الحبل التي أعدها لمغامرته .

وما الدليل على أن أخاك قتل ؟

- الطلق الناري . وفي اعتقادي أن "جورج كازيفون" فاجأ أخي وهو يحاول الوصول إلى برج القصر فاطلق عليه الرصاص .

فصاح "رينين" :

- أتعتقدين أن السيد "كازيفون" من الرجال الذين يقدمون على ارتكاب الجرائم ؟

- نعم .. أعتقد ذلك .. إنه رجل شديد الاندفاع .. تصيبه في بعض الأحيان نوبات تسوقه إلى شتى ضروب العنف والقسوة .

- ولكن ما غرضه من إطلاق النار على أخيك ؟ للاستئثار بالمبلغ الذي كان أخوك يعتقد بوجوده ؟

- لاعلم لي بذلك ولابالطريقة التي ارتكبت بها الجريمة ، لأن فحص الجثة لم يثبت وجود أي أثر من آثار العنف .

بيد أن ذلك لايمنعني من القول بأن ثقتي بوجهة نظري لاحد لها .

فقال "رينين" في لطف :

– ولكن يجب أن تعترفي بأن اتهاماتك لاتقوم على غير الريبة . والشعور الشخصي . لا على الوقائع والادلة الحسية . وهذا لايكفي من الناحية القانونية . ولايبعد في هذه الحالة أن يقاضيك السيد "كازيفون" بتهمة القذف في حقه . اليس كذلك يا سيد "بيشو" ؟

فنهضت "اليزابيث" وهي تقول :

– لايهمني أن يسوقني إلى القضاء . إنني لم اقل ما قلت بقصد الانتقام لأخي المسكين الذي لن يرد عليه عقاب الجاني نعمة الحياة .. ولكني قلت ما أعتقد انه الحقيقة .

وصمتت لحظة . ثم عادت فاستطردت :

– ولكن كن على يقين ياسيدي من انه سيلزم الصمت .

وانتهت المقابلة عند هذا . فقال "رينين" وهو يستاذن في الانصراف .

– ارجو المعذرة يا انسة إذا كنت قد اثقلت عليك بالأسئلة .. ولكن اطمئني إلى أن السيد "بيشو" سوف لايدخر وسعا للوصول إلى الحقيقة .. إني تشرفت اليوم بمعرفته لأول مرة . ولكني سمعت وقرات عنه في الصحف الشيء الكثير . وحياها وانصرف . وحذا "بيشو" حذوه . ولحق به عند الباب الخارجي . وناداه بقوله:

– سيدي .

– نعم .

– لي سؤال احب ان القيه عليك . وارجو المعذرة عن إلحاحي . هل انت واثق باننا لم نلتق قبلا ؟

فابتسم البرنس "رينين" وأجاب :

– إذا كنت واثقا من باننا تقابلنا قبل الآن . كان ذلك اصح . لأنني في الواقع مصاب بضعف الذاكرة . ولكن حدثني ياسيد "بيشو" . ألاترى معي ان في أقوال الآنسة "داليسكار" ما يصلح اساسا للبحث والاستقصاء ؟ إنني أشعر – وإن بدا لك ذلك مستحيلا – ان شقيقها

استطاع بطريقة ما ان يصل إلى البرج في تلك الليلة .

انا واثق بذلك .. ولكن المسالة الآن . هي كيف استطاع هذا الشاب وباية معجزة تمكن في خلال ساعتين من ان يجد وسيلة للصعود إلى البرج فينفذ خطته . ويصعد . ثم يهبط .. ويهوي في الفضاء .. بتاثير طلق ناري لم يصبه ؟

صمت البرنس لحظة . ثم عاد يغمغم كانه يحدث نفسه :

– نعم .. طلق ناري لم يصبه ..

وقد تقابل "بيشو" و "رينين" في مشرب القرية حيث تناولا طعام العشاء منفردين .

وتقابلا في هذا المشرب في مواقيت الطعام في اليومين التاليين . وكان "بيشو" يقضي وقته في عمل التحريات . والاستعلامات . اما "رينين" فراح يطوف بالقصر وحديقته وبالبناء الصغير الذي تقيم به الآنسة "اليزابيث داليسكار" وإذا ادركه الملل عمد إلى صيد السمك او إلى التدخين بمعزل عن سائر الناس .

وفي اليوم الثالث قصد "رينين" إلى مدينة "جيريه" حيث توجد المحطة . وقد ذهب إلى هناك بهيئة الرجل الذي يعرف غرضه حق المعرفة .

وفي اليوم الرابع تقابل مع "بيشو" في المشرب فقال له هذا :

– لقد فرغت من التحقيق . فاجاب "رينين" :

– وانا كذلك قد جمعت طائفة من المعلومات تهم الآنسة "اليزابيث" التي هي من اقدم صديقات خطيبتي . ومن زميلاتها في عهد الدراسة .

– إن في نيتي ان اعود إلى "باريس" الليلة :

– وانا كذلك .. وإذا شئت فإنني اصطحبك معي في سيارتي .

– حسنا . ولكني على موعد مع السيد "جورج كازيفون" بعد ثلاثة ارباع الساعة .

- إذن فسالحق بك إلى هناك . لانني سئمت التجوال في هذه المنطقة.

وافترق الاثنان . وقصد "رينين" لتوه إلى القصر وقام بجولة في الحديقة ثم بعث إلى "جورج كازيفون" ببطاقة عليها هذه الكلمات :

"سيرج رينين"

مساعد المفتش "بيشو"

وقد كتب البرنس "رينين" السطر الثاني بخطه . فاستقبله "كازيفون" في الحال في غرفة واسعة تزين جدرانها رؤوس الوعول التي اصطادها رب القصر ، وطائفة كبيرة من بنادق الصيد . وبعض الشهادات والجوائز التي تشهد لـ"كازيفون" بالبراعة في الصيد وإصابة الهدف .

قال "رينين" محدثا صاحب القصر :

- لقد تواعدت مع المفتش "بيشو" على اللقاء عندك . إننا قمنا معا بالتحقيق وسنرحل معا .

فساله "كازيفون" :

- وما راي المفتش "بيشو" في القضية ؟

- رايه قاطع في أن الحادث وقع بالقضاء والقدر .. أما الإشاعات الاخرى فليست لها أية قيمة .

- وأقوال الآنسة "اليزابيث داليسكار" ؟

- من رأي المفتش "بيشو" أن هذه الآنسة لاتزال متاثرة بالفاجعة التي نزلت بها . وأن اقوالها لاتقوم على اساس ولاتنهض أمام التحقيق الدقيق .

- وهل هذا هو رأيك يا سيد "رينين" ؟

- نعم يا سيدي . وانا في الواقع لست إلا مساعدا صغيرا للمفتش "بيشو" . ورايي لايمكن ان يختلف عن رايه .

واخذ "رينين" يتامل مجموعة الأسلحة المعروضة على جدران الغرفة.. فقال "كازيفون" :

- إنها مجموعة بديعة .. اليس كذلك ؟

- بلى .

- هل انت من هواة جمع الأسلحة ؟

- نعم .. وانا شديد الإعجاب بهذه المجموعة وبهذه الشهادات والجوائز التي تثبت براعتك في إصابة الهدف .. لقد اكد لي القوم في "جيريه" انك ابرع من يصيب الهدف في هذه المنطقة كلها .

- هل يتكلمون في "جيريه" عن الحادث ؟

- عن حادث مصرع الكونت "جان داليسكار" ؟ لا .. لم اسمع احدا يتحدث في هذا .. أما براعتك في إصابة الهدف فإنها مضرب الأمثال في كل مكان .

وتناول بندقيته ..وفحصها . فقال له "كازيفون" :

- كن على حذر .. فهذه بندقية ميدان .. وبها رصاصتان .

- وفيم تستخدمها ؟ لمقاومة الأشقياء واللصوص ؟

- بل لمطاردة لصوص الصيد .

- يالله . وهل تجد الشجاعة على قتل احد هؤلاء اللصوص يا سيد "كازيفون" ؟

فابتسم الرجل واجاب :

- إنني أقنع بإطلاق رصاصة على ساق اللص فاعجزه عن الحركة بقية حياته !

- وهل تطلق الرصاص من هذه النافذة ؟

قال ذلك وصوب فوهة البندقية من النافذة ثم ما لبث ان هتف :

- انظر .. إن الإنسان يستطيع أن يرى من هنا بيت الآنسة "اليزابيث داليسكار" ، على الرغم من الأشجار الكثيفة المتعانقة التي تحجبه .

- إنك لاترى من هذا المنزل شيئا كثيرا - هذا صحيح .. أترى تلك الزهرة الصفراء الواقعة عند سور الحديقة ؟

ورفع البندقية إلى كتفه في الحال . وأطلقها بسرعة . فأصابت القذيفة الزهرة الصفراء واسقطتها فابتسم "كازيفون" . ولكنه قال لنفسه : ترى ماذا يبغي هذا الفضولي من إحداث كل هذه الضجة.

ساله "رينين" :

- إن خدم القصر يقيمون في جناح متطرف . أليس كذلك ؟ إنهم إذن لايسمعون ما يقع هنا يا لله .. إنني شديد الأسف لأنني أطلقت هذه الرصاصة . فهي سوف تذكر الآنسة "داليسكار" بفجيعتها في أخيها .

- أما زالت الآنسة "اليزابيث" تصر على أن هناك صلة بين الطلق الناري وحادث أخيها ؟

- بلى .

- ولكن بم تثبت وجود هذه الصلة ؟

- كما اثبت ذلك بنفسي الآن . فالواقع انه إذا أراد شخص أن يصل إلى برج هذا القصر بواسطة حبل أو سلم من الحبال ممتد بين قمة البرج وغصن إحدى أشجار الحديقة . فإن في مقدور الإنسان أن يقتل هذا الشخص برصاصة يطلقها عليه من نافذة هذه الغرفة .

- ولكن شقيقها مات بسبب سقوطه . لا برصاصة بندقية .

- ربما كان سقوطه ناجما عن انقطاع الحبل مثلا برصاصة بندقية .

فنظر "كازيفون" إلى "رينين" متجهما . وقال :

- لم أكن أعلم أن الآنسة "داليسكار" توجه إلي التهمة بهذه الصراحة والدقة".

- نعم .. إن الاتهام صريح .

وهنا شعر "كازيفون" أن الحديث من جانب "رينين" قد اتخذ صبغة الهجوم والإحراج وأنه أصبح لزاما عليه أن يدافع عن نفسه . اعتدل

في مكانه فجاة وسال : وماذا تقول الآنسة في محاولة اخيها الدخول إلى برج القصر ؟

- تقول في تعليل ذلك إنه اراد الاستيلاء على مبلغ مائتي الف فرنك كان والدهما قد اخفاه في برج القصر . كما يدل على ذلك الرسم التخطيطي الذي حملاه إليك .. عندما طلبا منك ان تسمح لهما بالبحث في البرج .

فقلب "كازيفون" شفته باحتقار وقال :

- لقد كنت اعتقد منذ البداية أن حكاية هذا المبلغ هي حديث خرافة . لأنه إذا صح وكان والدهما يملك هذا المبلغ . فلماذا عمد إلى إخفائه بدلا من أن يدفعه إلى أبي . ويتخلص بذلك من ديونه ؟ - هذا الاعتراض وجيه وجدير بالاعتبار ، اللهم إلا إذا افترضنا أن المبلغ المخبوء لم يكن نقدا

- وماذا كان إذن ؟

- هذا ما اجهله . إن المسالة لا تتعدى مجرد الظن والتخمين.. .

فهز "جورج كازيفون" كتفيه وقال :

- كن على يقين من أن "اليزابيث" و "جان داليسكار" قد قلبا جميع النظريات والفروض على كل وجوهها ..

- ومن يدري ؟! اضف إلى ذلك انهما ليسا من رجال البوليس المحترفين مثلي .

- مهما كنت محترفا فإنك لا تستطيع أن تخلق شيئا من لا شيء ..

- بل الإنسان يستطيع ذلك في بعض الأحيان . وبهذه المناسبة هل تعرف السيد (كريوم) متعهد بيع الصحف في محطة (جيريه) الذي كان في أحد الأيام موظف حسابات بمصانعكم ؟!

- بالتاكيد اعرفه حق المعرفة وهو رجل رضي الخلق .

فقال "رينين" :

– إن هذا الرجل يزعم ان والد "اليزابيت" و "جان داليسكار" زاركم في يوم ثبت انه اليوم التالي للتاريخ الذي سحب فيه مبلغ المائتي الف فرنك من البنك .

– وهذا معناه ؟

– الا يدعو هذا إلى الظن بان مبلغ المائتي الف فرنك دفع إلى والدك في خلال هذه الزيارة وان الذي خبئ في برج القصر هو إيصال استلام المبلغ ، لا المبلغ ذاته ؟!

فوثب "كازيفون" من مكانه وصاح :

– ولكن هل تقدر خطورة هذا القول يا سيدي ؟! الا تشعر بانه يتضمن مساسا بكرامة ابي وتلطيخا لذ كراه ؟!

– وكيف ذلك ؟

– إذا كان ابي قد قبض هذا المبلغ فإنه ما كان يتردد قط في إعلان ذلك بكل إخلاص ونزاهة

– ولماذا ؟ إنه لم يكن ملزما بإعلان استرداده مبلغا كهذا اقرضه بصفة خاصة .. بصفة شخصية بحتة ..

فضرب "جورج كازيفون" الطاولة التي امامه بقبضة يده وصاح:

– إذا كان ابي قد استرد نقوده فمن المستحيل ان يطالب بها مرة اخرى بعد وفاة مدينه .

فقال "رينين" بهدوء :

– ولكنه فعل ذلك للأسف الشديد .

– هذا كلام حمق وجنون يا سيدي يجب ان تحكم العقل والمنطق قبل ان تتورط في مثل هذه التصريحات الخطيرة . لاننا إذا فرضنا ان ابي كان من فساد الذمة بحيث تطوع له نفسه ان يطالب بمبلغ اخذه فعلا .. وهو ما انفيه بكل قوة – فإنه كان يجب ان يخشى ظهور إيصال الاستلام . اليس كذلك ؟ فقال "رينين" بقلة اكتراث :

– ربما كان قد اتصل به بطريقة ما . إن أحدا من ورثة المدين لايعلم بان المبلغ دفع وبان هناك إيصالا بالاستلام ..

وقد قيل لي إنه كان شغوفا بهذا القصر . وبود الاستيلاء عليه مهما كلفه ذلك . فلا يبعد إذن أن يكون طمعه في هذا القصر قد اغراه على مافعل .

وشعر "جورج كازيفون " ان محدثه يتهم والده صراحة بالنصب والاحتيال . وخراب الذمة . واكل أموال اليتامى .. فامتقع لونه . ولوح بقبضة يده في وجه ذلك الموظف الحقير الذي راح يلوث سمعة ابيه بهذه الجراة والقحة ، وصرخ :

– إنني احظر عليك التحدث بمثل هذا الكلام . إنك ترسل الكلام على عواهنه دون أن تميز معناه .

– أرسل الكلام على عواهنه ؟! كلا أؤكد لك انني ازن كل كلمة قبل ان انطق بها . وانني لم انطق حتى الآن بغير الصدق فصاح "كازيفون" .

– هذا كذب وبهتان .. وانت لاتملك اي دليل على صحة ما تقول وإذا كنت تعتقد أن الدليل على جرم ابي موجود في البرج .. فهلم بنا إليه في التو واللحظة لنقطع الشك باليقين .

– لقد صعد "جان داليسكار" إلى قمة البرج .

– وهذا كذب .. فانا اتحدى اي كائن ان في إمكانه الوصول في ساعتين إلى قمة برج يربو ارتفاعه على الثلاثين مترا .. دون الاستعانة بسلم البرج ذاته ..

فقال "رينين" بهدوء :

– لقد فعل "جان داليسكار" ذلك .

فضاق "كازيفون" بذلك الرجل العنيد وصاح :

– وكيف فعل ذلك ؟! وباية واسطة استطاع الوصول إلى قمة البرج ؟ باية معجزة استطاع تسلق جدران لايتاتى لأحد أن يتسلقها ؟

– إنه تسلق البرج بواسطة حبل .

فاغرق "كازيفون" في الضحك وصاح :

- تسلق البرج بواسطة حبل ! هذا هو الجنون بعينه . لقد ضبطته في الواقع غير مرة وهو يحاول ان يقذف إلى قمة البرج بخطاف مشدود بحبل.

على امل ان يثبت الخطاف بقمة البرج ويتمكن بذلك من الصعود .. ولكن كان دون ذلك خرط القتاد .

مسكين ذلك الغلام التعس .. لقد استعصى عليه أن يفهم انه وضع خطة جنونية يستحيل تنفيذها .. فما بالك إذن في تنفيذها في ساعتين ؟ وبعد .. فلو انه تمكن من صعود البرج بواسطة الحبل كما تزعم لوجدنا هذا الحبل مثبتا بحافة البرج . أو ملقى على الأرض .

فقال "رينين" بهدوئه العجيب الذي كان يزيد الرجل غيظا وحنقا:

إنه لم يستخدم حبلا بالطريقة التي تتصورها .

فضحك "كازيفون" ضحكة عصبية وسال :

- كيف استخدمه إذن ؟ هل امتطاه وأمره أن يصعد إلى قمة البرج فصعد . تلك إذن إحدى المعجزات ! . قال "رينين" .

- قد يزداد شعورك بأن في الأمر معجزة إذا قلت لك إنه لم يصعد إلى قمة البرج صعودا . بل هبط عليه هبوطا من أعلى إلى أسفل .

فقال "كازيفون"وهو لايزال يضحك ملء شدقيه :

- إذن فقد قذفت به العناية الإلهية من حالق فسقط فوق البرج .

- إن المصادفات تخلق المعجزات في بعض الأحيان ياسيد "كازيفون" فلامعنى إذن للهزؤ والسخرية .

- لاافهم ماتعني .. ولا أعلم أن هناك أية طريقة للوصول إلى البرج من أعلى ..

- بل توجد طريقة واحدة على الاقل ياسيدي .. توجد المناطيد ولعلك تذكر أن أحد المناطيد الطليقة قد حلق فوق هذه المنطقة في الليلة السابقة لليوم الذي لقي فيه الكونت الشاب مصرعه .

وقد سار هذا المنطاد من الشمال إلى الجنوب . وألقى طائفة من

الحقائب المليئة بالرمال على بعد خمسة عشر كيلو مترا شمال "جيريه" . فلماذا لانستنتج أن هذا المنطاد قد أدلى كذلك - باتفاق سابق - حبلا طويلا وأن طرف هذا الحبل قد علق بغصن إحدى الأشجار وأن الكونت "جان" قد اضطر إلى تحطيم غصن الشجرة ليخلص طرف الحبل . ثم تعلق بهذا الحبل وارتفع به المنطاد حتى أوصله إلى قمة البرج ؟

ستقول إنها مغامرة شاقة محفوفة بالأخطار ، ولكن شابا عرف بميوله الرياضية وجرأته كالكونت "جان داليسكار" وله من التصميم لإنفاذ غرضه والوصول إلى غايته . ما كان لهذا الكونت أن يحفل بالخطر الذي يستهدف له من جراء هذه المغامرة الخطيرة .

وهنا انقلبت سحنة "كازيفون" وغمغم .

- ثم ..

- ثم حدث أن شخصا كان يطل من هذه النافذة فرأى الشاب معلقا في الفضاء بحبل فاطلق الرصاص على الحبل فانقطع . وسقط الشاب التعس . وقتل لساعته .

- آه .. بهذا تفسر الحادث إذن ؟

فلم يجب "رينين" بل استطرد :

- ثم أسرع الشخص الذي أطلق الرصاص فبحث عن الجثة ووجدها وفتش ثيابها باحثا عن إيصال استلام المبلغ .

وبعدئذ تناول قطعة الحبل وأخفاها في مكان ما . أو بالحري . ألقاه في أحد الآبار .

كانت التهمة صريحة حاسمة .. وقد أراد "كازيفون" أن يتخلص منها فثار فجأة ثورة الرجل المهان . وصاح :

- كفى .. كفى .. لاأريد أن أسمع هذه النظريات الخرقاء التي لاتقوم على أساس ..

فاغرب عن وجهي يا هذا . اذهب من هذا المكان وسأقول للمفتش "بيشو" إنني طردتك .. كما يجب أن أطرد أي دعي نصاب مثلك يريد أن يحتال بوسائل التهديد .

فقال "رينين" وهو يضحك :

– لو انني أردت إرهابك والاحتيال عليك لما بدات باستعراض الاد لة.

فصاح "كازيفون" في غضب :

– الأدلة ؟ أين هي الأدلة ؟ وما هذه الأدلة ؟ كل ادلتك ثرثرة.

وكلام اجوف . وإلا فابرز لي دليلا واحدا . اي دليل يدعم اقوالك الخرقاء .

هناك دليل واحد يفحمني ويثبت التهم التي توجهها إلي وإلى أبي فابرز هذا الدليل إذا لم تكن مداعبا ثقيل الدعابة .

– وما هذا الدليل ؟

– إيصال الاستلام .. الإيصال الذي وقع عليه أبي بإمضائه .

– هاهو ذا الإيصال .

وأخرج "رينين" من جيبه ورقة صفراء مطوية فبسطها بين اصابعه واستطرد .

– اليس هذا خط والدك . اليس هذا توقيعه ؟

ثم أصغ إلي اسمعك مضمونه – وراح يقرا في الإيصال ما يلي: انا الموقع على هذا "اوجوست كازيفون" أعترف بانني تسلمت من الكونت "داليسكار" مبلغ مائتي الف فرنك وهو المبلغ الذي اقرضته إياه في تاريخ سابق . بضمان قصره وممتلكاته وليس لي الآن أي حق في القصر والممتلكات .

واستطرد البرنس "رينين" قائلا :

– وتاريخ هذا الصك هو ذات التاريخ الذي ذكره السيد "جريوم" وهاهو ذا التوقيع ، فلا وجه إذن للطعن في صحة هذه الوثيقة ، ولابد انك كنت تعلم بامر هذه الوثيقة ياسيدي ، إما لان والدك اعترف لك بالحقيقة ، وإما لانك وقعت على هذه الحقيقة ضمن الأوراق والوثائق الخاصة التي خلفها ابوك .

فاكتشاف هذه الوثيقة يثبت على والدك جشعه وفساد ذمته ويحتم عليك الجلاء عن هذا القصر الذي اغتصبته اغتصابا . كما اغتصبه

أبوك من قبل .

لقد أقدم أبوك على الاحتيال طمعا في هذا القصر وأقدمت أنت على القتل طمعا في الاحتفاظ به .

– هذا كذب .. لو كنت أنا القاتل لاستوليت على هذا الصك .

– إنك فتشت ثياب الشاب التعس بعد مصرعه . ولكنك لم تعثر على الصك . لأن الكونت "داليسكار" كان شديد الحرص والحذر . فشد الصك إلى حجر صغير وقذف به من أعلى البرج . بأمل البحث عنه والتقاطه بعد أن يهبط .. ولكنه قتل وهو يهبط ووجدت أنا الصك مشدودا إلى الحجر على شاطئ القناة .

وقبل أن يفرغ "رينين" من كلامه .. أتى "كازيفون" بحركة فجائية محاولا اختطاف الصك من يد "رينين" ، ولكن هذا شعر بغرضه . فتراجع إلى الوراء في الوقت المناسب .

وساد على الأثر صمت عميق . كان الرجلان في خلاله يتبادلان نظرات السخط والحنق .

قال "رينين" :

– هذه الحركة التي بدرت منك هي اعتراف صريح ودليل على أن الآنسة "اليزابيث داليسكار" كانت على حق حين قالت إنك رجل ذو نزعات عنيفة .. ولاشك أن إحدى هذه النزعات هي التي دفعتك منذ أيام إلى إطلاق الرصاص على ذلك الشاب التعس .

والآن .. عليك أن تضبط نفسك وتسيطر على حواسك .. إنني أسمع طرقا بالباب .. وأكبر الظن أن القادم هو "بيشو" .. مفتش البوليس ومن المؤكد أن مصلحتك تقضي بألا يعلم هذا الرجل الحقيقة . وساد الصمت مرة أخرى وفجأة .. هتف "كازيفون" بلهجة المحموم :

– كم ؟؟ كم تطلب ثمنا لهذا الصك .

– إنه ليس معروضا للبيع .

– هل تريد الاحتفاظ به ؟

– بل سأرده إليك بشروط .

– وما شروطك ؟
– ساطرحها عليك بحضور المفتش "بيشو" .
– وإذا رفضت قبولها ؟؟
– أوضح للمفتش "بيشو" كل شيء .
– إن مزاعمك لاقيمة لها .
– سوف ترى .
وشعر "كازيفون" في الحال انه أمام خصم عنيد ، فاطرق براسه وسلم لخصمه بالغلبة .
اقبل "بيشو" في هذه اللحظة . وادهشه ان يرى "رينين" في القصر .
سال نفسه : ترى بماذا كان يتحدث الرجلان ؟
ونظر إلى "رينين" في شيء من الريبة ثم شد على يد "كازيفون" وقال له :
– لقد وعدتك بان انبئك قبل رحيلي بنتيجة التحقيق الذي قمت به . وهانذا ابر بوعدي واقول لك : إن رأيي في الحادث لايختلف عن الرأي الذي كان معروفا حتى الآن .وهو أن الكونت الشاب لقي مصرعه قضاء وقدرا .
اما الإشاعات التي تذيعها الآنسة "داليسكار" فإنها لا أساس لها من الصحة .. فهز "رينين" راسه موافقا وقال :
– هذا صحيح .. وذلك هو رأيي شخصيا . وقد افصحت عنه للسيد "كازيفون" ولكن الرجل كان على جانب عظيم من سعة الصدر . فابى إلا أن يقابل الوشايات والإشاعات الكاذبة بالكرم وقرر أن يقطع السنة السوء بالتنازل للآنسة "داليسكار"عن هذا القصر . وعن جميع ممتلكات ذويها . فدهش "بيشو" وغمغم: يالله أهذا .. ممكن ..؟ فقال "رينين" :
– ولم لا ؟ وفضلا عن ذلك فإن هذه الحوادث والإشاعات قد أوغرت صدر السيد "كازيفون" على أهل هذه الناحية .. ولذلك قرر أن يبرحها إلى الأبد .. وسيبتاع قصراً فخما بالقرب من المصانع الكبيرة التي

يملكها في (جيريه) ..

وعندما جئت الآن لزيارة السيد "كازيفون" وتوديعه بمناسبة سفري وجدته بسبيل كتابة صك التنازل . وقد عبر لي عن عزمه على أن يهب الآنسة "داليسكار" فضلا عن ذلك كله تحويلا ماليا بمبلغ مائتي ألف فرنك .. لتكون لها بمثابة بائنة "دوطة" .. أليس كذلك يا سيد "كازيفون"؟

فلم يتردد "كازيفون" لحظة . وأجاب على الفور . وعلى شفتيه ابتسامة مصطنعة :

– بلى .. بلى .

وجلس امام مكتبه . وكتب صيغة الهبة والتحويل المالي وقدمهما إلى "رينين" وهو يقول :

– إليك التحويل وهو يدفع لحامله . وإليك صك التنازل . وساصدر أوامري إلى مسجل العقود لاتخاذ الإجراءات اللازمة .

فتناول "رينين" الوثيقتين . ووضعهما في غلاف . والصق الغلاف . وقدمه إلى "بيشو" وهو يقول :

– خذ يا سيدي . اذهب بهذا إلي الآنسة "داليسكار" وانا واثق بانها ستقدر كرم السيد "كازيفون" • وسخاءه . احييك يا سيد "كازيفون" اطيب تحية . واكبر فيك السخاء وسعة الصدر

وخرج وتبعه "بيشو" وهو لايكاد يفهم شيئا مما وقع تحت بصره وسمعه .

ولما اصبحا في الحديقة . التفت "بيشو" إلى "رينين" وساله :

– ماذا ؟؟ هل هو الذي أطلق الرصاص ؟ هل اعترف بجريمته ؟

– لاتتعب نفسك في التفكير في هذا الحادث ياسيد "بيشو" .. لقد سويت المسالة على خير الوجوه وبما يرضي الجميع . فلا تلق علي شيئا من الأسئلة . لانني لن أجيبك عن شيء . اذهب بهذا الغلاف إلى الآنسة "داليسكار" ثم الحق بي في المشرب

ولحق به "بيشو" بعد ربع ساعة وانباه بان الآنسة "داليسكار" قبلت

هبة القصر ولكنها رفضت التحويل المالي . بل مزقته شر ممزق . وداست قطعه بقدميها .

ووصل "رينين" و "بيشو" إلى باريس في سيارة الأول . وحاول الثاني عبثا أن يحمل "رينين" على الكلام .

بلغا باريس في الساعة التاسعة ودعا "رينين بيشو" لتناول طعام العشاء معه في أحد المطاعم ولكنهما ما كادا يدخلان المطعم حتى استاذن "بيشو" صاحبه في أن يتصل تليفونيا بالسيد "كازيفون" .

وينبئه بان الآنسة "داليسكار" قد مزقت التحويل المالي .

وقصد "بيشو" إلى حيث يوجد التليفون ولكنه بدلا من أن يتصل بالسيد "كازيفون" طلب الاتصال بالسيد "بينيه" مدير الأمن العام : - آلو . آلو . مسيو "بينيه" .. انا "بيشو" .. يتناول طعام العشاء معي الآن في مطعم "تروكاديرو" رجل اعتقد انه "ارسين لوبين" ارسلوا قوة في الحال لمحاصرة المطعم .. آلو .

* * *

وعاد "بيشو" إلى مائدة الطعام وهو يفرك كفيه بارتياح :

ولكنه لم يكد يرسل بصره إلى حيث كان "رينين" جالسا حتى جمد في مكانه ..

ذلك انه لم يجد له اثرا .

أجال الطرف حوله في انحاء المطعم ولكن بغير جدوى . فقد اختفى البرنس "رينين" . كأنما انشقت الأرض وابتلعته .

ووقع بصره فوق مائدة الطعام على قصاصة من الورق فتناولها بلهفة .. وقرا فيها ما يلي :

" لاتتعب نفسك يا عزيزي "بيشو" .. ولاتزعج رجال البوليس .. أما التحويل المالي الذي مزقته الآنسة "داليسكار" فإنه لاقيمة له .. لأنه تحويل قديم استبدل به التحويل الجديد لأنني كنت أعلم سلفا أن

الآنسة "داليسكار" ستمزقه احتقارا لصاحبه .

" اما التحويل الجديد – وهو يصرف لحامله – فلابد انك تعرف الآن مقره .

صديقك البرنس .. "ارسين لوبين"

تمت بحمد الله



اقطع الكوبون، وضع علامة ☒ على رقم الرواية التي تريدها،
وأرسله مع الشيك بالبريد المسجل (المضمون) على العنوان التالي :

دار ميوزيك : ص ب ٣٧٤ - جونيه - لبنان

ملاحظة : جميع الشيكات : باسم

دار ميوزيك

وأن يكتب على الشيك عبارة " يصرف للمستفيد الأول فقط "

١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠
١١	١٢	١٣	١٤	١٥	١٦	١٧	١٨	١٩	٢٠
٢١	٢٢	٢٣	٢٤	٢٥	٢٦	٢٧	٢٨	٢٩	٣٠
٣١	٣٢	٣٣	٣٤	٣٥	٣٦	٣٧	٣٨	٣٩	٤٠
٤١	٤٢	٤٣	٤٤	٤٥	٤٦	٤٧	٤٨		

الإســم :

العنوان :

ص.ب المدينة : الرمز البريدي :

الدولــة :

برجاء تحرير شيكات مصرفية مسحوبة على أي مصرف في لبنان

هذه هي أسماء وأرقام الروايات التي يمكنكم طلبها.
سارع في إرسال طلبك !

١	ارسين لوبين بوليس آداب	١٧	الباب الأحمر
٢	ارسين لوبين بوليس سري	١٨	البرنس ارسين لوبين
٣	الماسة الزرقاء	١٩	التاج المفقود
٤	ارسين لوبين رقم ٢	٢٠	الثعلب
٥	ارسين لوبين في السجن	٢١	الجائزة الأولى
٦	المعركة الأخيرة	٢٢	الجائزة الكبرى
٧	ارسين لوبين في موسكو	٢٣	الجاسوس الأعمى
٨	ارسين لوبين في قاع البحر	٢٤	الجثة المفقودة
٩	ارسين لوبين في نيويورك	٢٥	الجرائم الثلاثة
١٠	اسنان النمر	٢٦	الجريمة المستحيلة
١١	الميراث المشؤوم	٢٧	الجزاء
١٢	اصبع أرسين لوبين	٢٨	الجلاّد
١٣	لصوص نيويورك	٢٩	الخدعة الكبرى
١٤	اعترافات أرسين لوبين	٣٠	الخطر الأصفر
١٥	الإبرة المجوفة	٣١	الخطر الهائل
١٦	الإنذار	٣٢	الدائرة السوداء

٣٣	الرصاصة الطائشة		
٣٤	الرهان		
٣٥	الزمردة		
٣٦	الساحر العظيم		
٣٧	السر الرهيب		
٣٨	السر في العين		
٣٩	السر في القبعة		
٤٠	السهم القاتل		
٤١	السوق السوداء		
٤٢	الشريف		
٤٣	الصحفي المفقود		
٤٤	الصوت الغامض		
٤٥	الطائرة المحترقة		
٤٦	العقد المفقود		
٤٧	الغرفة الصفراء		
٤٨	الغرفة ٣٤		